الفصل الأول - الطبيب الجديد

في أواخر عصر أحد أيام أكتوبر عام ١٩٢٤، نظر شابٌ رثّ المظهر بشوقٍ من نافذة عربة القطار شبه الفارغة. كان مانسون مسافرًا طوال اليوم، لكن المرحلة الأخيرة من رحلته الطويلة إلى جنوب ويلز أثارت فيه حماسةً كبيرة وهو يفكر في الوظيفة، وهي أول وظيفة له كطبيب، التي كان على وشك شغلها في هذه البلاد الوعرة.

في الخارج، كان المطر ينهمر بغزارة بين الجبال على جانبي خط السكة الحديد. اختفت قمم الجبال خلف سماء رمادية، وبدت جوانبها، التي تضم العديد من مناجم الفحم، سوداء وباردة. حلّ الليل، ولم تكن الأشجار ولا الأعشاب ظاهرة. عند منعطف في خط السكة الحديد، ظهر فجأة ضوء أحمر ساطع من مصنع للحديد، مُنيرًا عددًا من الرجال الذين كانوا يعملون بكل قوتهم. في تلك اللحظة، غمر شعور بالقوة وادي الجبل. تنفس مانسون الصعداء. شعر برغبة متزايدة في بذل المزيد من الجهد، وأمل مفاجئ ووعد بالمستقبل.

كان الظلام قد حلّ عندما وصل قطاره إلى درينفي بعد نصف ساعة. لقد وصل أخيرًا. قفز مانسون من القطار وهرع خارج المحطة.

في الشارع، نظر إليه رجل عجوز يرتدي ملابس متسخة بعناية، وسأله: "هل أنت الرجل الجديد للدكتور بيج؟"

"هذا صحيح. اسمي مانسون - أندرو مانسون."

همم ! عربتي هي توماس. لقد أحضرتها معي. اصعد!

صعد مانسون إلى العربة التي كانت بحاجة ماسة إلى الإصلاح، وساروا في صمت عبر شوارع عديدة تصطف على جانبيها بيوت صغيرة قذرة. ظل توماس العجوز، الذي تنبعث من جسده رائحة كريهة، ينظر إلى مانسون بنظرات غريبة. وفي النهاية قال: "لقد تخرجت للتو من الجامعة، أليس كذلك؟"

ابتسم أندرو.

قال توماس العجوز بازدراء: "كنت أظن ذلك! لقد غادر آخر رجل قبل عشرة أيام. إنهم لا يبقون طويلاً!"

سأل أندرو محاولاً إخفاء قلقه: "لماذا؟"

"العمل شاق للغاية، لسبب واحد."

وما هي الأسباب الأخرى؟

ستكتشف ذلك قريباً!

بعد مغادرة مركز المدينة، قادوا سيارتهم عبر أرض وعرة بالقرب من منجم فحم، ثم صعدوا طريقًا ضيقًا مليئًا بالحصى إلى منزل قريب من صفوف منازل عمال المناجم الصغيرة.

قال توماس وهو يوقف الحصان: "هذا هو المنزل".

نزل أندرو من العربة. وفي اللحظة التالية فُتح الباب الأمامي على مصراعيه، واستقبلته امرأة طويلة في الخمسين من عمرها تقريباً.

«حسنًا! حسنًا! لا بد أنك الدكتور مانسون. تفضل بالدخول. أنا أخت الدكتور بيج، الآنسة بيج. يسعدني رؤيتك!» قالتها بابتسامة ودودة. «لم يكن الرجل الذي تعاملنا معه سابقًا ذا فائدة تُذكر، لكنني متأكدة من أنني أستطيع الوثوق بك. تعال معي، وسأريك غرفة نومك.»

كانت غرفة أندرو صغيرة وباردة، وبها القليل جداً من الأثاث. نظر أندرو حول الغرفة غير المريحة وقال بأدب: "تبدو هذه الغرفة مريحة للغاية يا آنسة بيج".

ابتسمت. "نعم، أعتقد أنك ستكون مرتاحًا. الآن تعال وقابل الطبيب." توقفت للحظة، ثم أضافت بتوتر: "لا أتذكر ما إذا كنت قد أخبرتك في رسالتي أن الطبيب ليس على ما يرام في الوقت الحالي."

نظر إليها أندرو بدهشة مفاجئة.

قالت بسرعة: "أوه، لا شيء خطير! سيتعافى قريباً."

قادت أندرو إلى نهاية الممر، حيث فتحت بابًا ونادت على أخيها قائلة: "هذا هو الدكتور مانسون يا إدوارد".

بينما دخل أندرو غرفة النوم الحارة التي تفوح منها رائحة المرض، تقلب إدوارد بيج ببطء في فراشه. كان رجلاً ضخماً، ربما في الستين من عمره، بعيون متعبة وتعبير عن معاناة شديدة على وجهه. أظهر ضوء المصباح الزيتي المسلط على فراشه أن نصف وجهه متصلب وخالٍ من الحياة. أما الجانب الأيسر من جسده فكان فاقداً للقوة والإحساس تماماً. هذه العلامات التي تنبئ بمرض طويل وخطير للغاية صدمت أندرو. ساد صمت محرج.

قال الدكتور بيج، متحدثاً ببطء وبصعوبة: "آمل ألا تجد العمل هنا صعباً للغاية. أنت صغير جداً!"

أجاب أندرو: "عمري أربعة وعشرون عاماً يا سيدي". ثم أضاف بسرعة: "لكنني أحب العمل".

نظر بيج إلى أندرو وقال بصوت متعب: "أتمنى أن تبقى".

صرخت الآنسة بيج قائلة: "يا إلهي! ما هذا الكلام!"

ابتسمت لأندرو، ثم اصطحبته إلى الطابق السفلي لتناول العشاء. وبينما كان أندرو يتبعها، انتابه القلق. لم يُذكر شيء عن مرض بايج عندما تقدم للوظيفة؛ لكن الطبيب كان مريضًا لدرجة أنه لن يكون قادرًا على العمل مرة أخرى. تساءل أندرو في نفسه لماذا أخفت أخته هذا الأمر.

قالت الآنسة بيج بينما كانوا يدخلون غرفة الطعام: "أنت محظوظ يا دكتور، لن تخضع لعملية جراحية الليلة. لقد تولى جينكينز الأمر".

"جينكينز؟"

"إنه يخلط الأدوية. إنه رجل مفيد - مستعد لفعل أي شيء. لقد كان يقوم بمهام الطبيب ويعتني بجميع المرضى خلال الأيام العشرة الماضية."

نظر إليها أندرو مرة أخرى بدهشة. هل هكذا يدير أطباء الريف عياداتهم؟

قامت الآنسة بيج بقرع الجرس؛ ودخلت خادمة ذات وجه شاحب حاملة العشاء، ونظرت بسرعة إلى أندرو عندما دخلت.

الآنسة بيج: "هيا بنا يا آني، هذا هو الدكتور مانسون".

لم تُجب آني. قدّمت لأندرو قطعة صغيرة من اللحم البارد، فأكلها دون أن يتذوقها. طوال فترة تناول الطعام، التزمت الآنسة بيج الصمت. ثم جلست على كرسيها ووصفت النظام الطبي في درينفي بأسلوب ودود.

أوضحت قائلة: "جميع مرضانا من عمال المناجم. لدى شركة التعدين ثلاثة أطباء مسجلين لديها، كل منهم يوظف طبيباً أصغر سناً لمساعدته. الدكتور بيج هو من يوظفك الآن، والدكتور نيكولز يوظف رجلاً مخزياً يُدعى ديني. ثم هناك الدكتور براموبل. يختار كل عامل منجم الطبيب الذي يرغب في زيارته من بين الأطباء الثلاثة عند مرضه؛ وتدفع الشركة جزءاً من أجره أسبوعياً للطبيب الذي اختاره. يعطي الطبيب حصة عادلة من هذا المال لمساعده ويحتفظ بالباقي لنفسه."

توقفت ونظرت إلى أندرو.

قال: "أعتقد أنني أفهم النظام يا آنسة بيج".

"حسنًا!" ضحكت ضحكة قصيرة. "كل ما يجب أن تتذكره هو أنك تعمل لدى الدكتور بيج. لا تنس ذلك أبدًا!"

نظرت إلى الساعة، ثم نهضت بسرعة من كرسيها. وتغيرت تصرفاتها فجأة.

أمرت أندرو قائلة: "هناك امرأة مريضة في المنزل رقم 7، في ساحة غليدار. لقد استدعى زوجها الطبيب منذ وقت طويل. من الأفضل أن تذهب إلى هناك على الفور".

الفصل الثاني - الحمى

خرج أندرو على الفور. كان متشوقًا للبدء. كانت هذه قضيته الأولى! كان المطر لا يزال يهطل بينما كان يعبر الأرض السوداء الوعرة ويشق طريقه إلى الشارع الرئيسي. وبينما كان يسير، بدأت المدينة القذرة تتشكل أمامه في الظلام. امتلأ الشارع بالمتاجر والكنائس القبيحة، الكبيرة والباردة. شعر أندرو وكأنه مدفون في وادٍ عميق من الجبال، مما جعله يرتجف. لم يكن هناك سوى عدد قليل من الناس. خلف المتاجر والكنائس، على جانبي الشارع، امتدت صفوف من المنازل؛ وفي الطرف البعيد من المدينة، أضاءت مناجم درينفي السماء الملبدة بالغيوم. وصل أندرو إلى المنزل رقم 7 في ساحة غليدار. أخذ نفسًا عميقًا ثم طرق الباب.

أُدخل على الفور إلى المطبخ، حيث كانت المريضة راقدة في سريرها. كانت شابة، زوجة عامل منجم يُدعى ويليامز. وبينما كان أندرو يتجه نحو سريرها، شعر فجأة بمسؤولية كبيرة. كان وحيدًا. عليه أن يكتشف ما بها ويعالجها، دون وجود طبيب آخر يُنصحه.

بينما كان الزوج ينتظر ويراقب في الغرفة الباردة المظلمة، فحص أندرو المرأة بعناية فائقة. لاحظ أنها مريضة - بل مريضة جداً. لكن ما سبب مرضها؟ لم يستطع أندرو معرفة السبب. شعر بقلق شديد. إنها حالته الأولى! لا يجب أن يخطئ. فحص المريضة مرة ثانية، لكنه ما زال يجهل ما بها. أخيراً، التفت إلى زوجها وسأله: "هل كانت مصابة بنزلة برد؟"

أجاب ويليامز بلهفة: "نعم يا دكتور، قبل ثلاثة أو أربعة أيام".

قال أندرو، محاولاً إظهار الثقة، بمرح: "إذن سأجعلها تتحسن قريباً. تعال إلى العيادة بعد نصف ساعة. سأعطيك زجاجة دواء لها."

غادر المنزل مسرعًا وعاد سيرًا على الأقدام تحت المطر إلى العيادة، وهي مبنى خشبي قديم في حديقة بيج. أشعل مصباح الغاز وسار جيئة وذهابًا في الغرفة، محاولًا التفكير في أي مرض قد تكون المرأة تعاني منه. كان يعلم أن نزلة البرد لم تكن هي سبب مرضها؛ بل كانت تعاني من شيء أسوأ بكثير. شعر بانزعاج شديد من نفسه لغبائه، فأخذ بعض الزجاجات من الرف، وخلط دواءً.

كان قد انتهى لتوه من كتابة اسمه وعنوانه على الزجاجة، عندما رنّ جرس العيادة. قبل أن يتمكن أندرو من الرد، فُتح الباب ودخل رجل قصير القامة، قوي البنية، في الثلاثين من عمره تقريبًا، يتبعه كلب. نظر الرجل، الذي كان يرتدي بدلة قديمة وحذاءً متسخًا، إلى أندرو من رأسه إلى أخمص قدميه.

وأخيراً، تكلم قائلاً: "رأيت ضوءاً في نافذتك وأنا أمرّ من هنا. لذلك قررت الدخول والترحيب بك. أنا ديني - أعمل لدى الدكتور نيكولز العظيم."

أشعل فيليب ديني غليونه، وألقى عود الثقاب على الأرض، وتقدم للأمام. التقط زجاجة الدواء، وشمّها، ثم أعادها إلى مكانها.

قال: "ممتاز! إذن فقد بدأت العمل الجيد بالفعل! دواء كل ثلاث ساعات! الهراء المعتاد: عند الشك، أعطِ الدواء!"

ساد الصمت في المبنى الخشبي. وفجأة ضحك ديني. وسأل: "لماذا أتيت إلى هنا؟"

في هذه الأثناء، كان غضب أندرو يتصاعد. فأجاب بغضب: "أريد أن أحوّل درينفي إلى مركز طبي شهير!"

ضحك ديني مرة أخرى. "ذكي، ذكي يا دكتور العزيز!" ثم تغيرت نبرته فجأة. "اسمع يا مانسون،" قال، "هناك أمران أو ثلاثة عن هذا المكان يجب أن تعرفهما. النظام الطبي في درينفي سيء للغاية. لا يوجد مستشفى، ولا أي شيء آخر يحتاجه الطبيب. المكان غير صحي لدرجة أن الناس يموتون غالبًا بسبب الحمى - عادةً بسبب شرب الماء الملوث. كان بيج طبيبًا جيدًا، لكنه مريض ولن يعمل مرة أخرى. نيكولز، صاحب العمل، لا يفكر إلا في جني المال؛ وبراموبل، الطبيب الآخر في المنطقة، لا يعرف شيئًا. وأنا - أنا أشرب كثيرًا. أعتقد أن هذا كل شيء. هيا يا هوكينز، لنذهب."

نادى الكلب وتحرك بثقل نحو الباب. هناك توقف، وألقى نظرة أخرى على زجاجة الدواء، ثم أضاف: "أنصحك بالنظر في احتمال الإصابة بحمى التيفوئيد في جلايدار بليس".

أُغلق الباب بصوت عالٍ؛ واختفى ديني والكلب في الظلام الرطب.

لم ينم أندرو جيدًا تلك الليلة. أثارت ملاحظة ديني شكًا آخر في ذهنه. هل كان مصابًا بالتيفوئيد؟ وبينما كان مستلقيًا في سريره طوال الليل، تساءل أندرو عما إذا كان يعرف أي شيء عن مهنة الطب.

في صباح اليوم التالي، تناول فطوره بسرعة، ثم ذهب إلى غرفة العمليات. كان جينكينز موجوداً هناك بالفعل، يقوم بتحضير الأدوية.

قال: "لا داعي للمجيء مبكراً يا دكتور. يمكنني إعطاء الرجال أدويتهم وشهاداتهم المرضية. ليس من الضروري أن تراهم."

أجاب أندرو ببرود: "شكراً لك، لكنني أرغب برؤيتها". ثم توقف قليلاً وسأل بسرعة: "ماذا تضع في تلك الزجاجات؟"

ابتسم جينكينز. "ماء يا دكتور. أقوم بتلوين الماء لجعله يبدو كدواء. المرضى لا يعرفون. إنهم يعتقدون أنه يجعلهم أفضل."

بعد الجراحة الصباحية، قاد أندرو سيارته برفقة توماس العجوز إلى جلايدار بليس. توقف عند المنزل رقم 7، ثم زار ستة منازل أخرى كان أصحابها يشكون من الصداع والغثيان. في كل حالة، وجد أندرو علامات واضحة للحمى. أدرك فجأةً، بخوف شديد، أن الحمى قد بدأت تنتشر. فقرر التحدث إلى الدكتور بيج على الفور.

سأل: "دكتور بيج، ما هو أفضل شيء يمكن فعله في حالات حمى التيفوئيد؟"

أجاب بيج وعيناه مغمضتان: "لطالما كانت الحمى صعبة التعامل معها. أنصحك بالاتصال بجريفيثس، المسؤول الطبي في المنطقة." ثم توقف قليلاً. "لكنني أخشى أنه ليس متعاوناً للغاية."

ركض أندرو إلى القاعة واتصل هاتفياً بجريفيثس.

'يا مرحبا! يا مرحبا! هل هذا الدكتور غريفيث؟

بعد صمت قصير، أجاب صوت رجل: "من يريده؟"

"هذا مانسون من درينفي . أعمل لدى الدكتور بيج. لدي عدة حالات من حمى التيفوئيد. أريد من الدكتور غريفيث أن يأتي إلى هنا على الفور."

"أنا آسف، لكن الدكتور غريفيثس خارج المنزل - في مهمة عمل."

صرخ مانسون: "متى سيعود؟"ـ

'لا أعرف.'

لكن استمع...

لكن المتحدث على الطرف الآخر كان قد غادر. شتم مانسون بصوت عالٍ. استدار فرأى آني، الخادمة، بجانبه.

قالت له: "الدكتور غريفيثس لا يكون في المنزل في هذا الوقت من اليوم أبداً. إنه يستمتع بوقته بالخارج."

لكنني أعتقد أن الدكتور غريفيث هو من تحدث إليّ.

ابتسمت آني وقالت: "ربما. عندما يكون في المنزل، يتظاهر بأنه بالخارج! لا يجب أن أضيع وقتك معه!"

في ذلك المساء، وبينما كان أندرو يُعاين مرضاه في غرفة العمليات، قرر زيارة ديني. ذكّر نفسه قائلاً: "هو من اقترح إصابتي بالتيفوئيد. أكرهه، لكن هذا لا يهم. يجب أن أذهب إليه فوراً."

لم يُبدِ ديني أي دهشة عندما زاره أندرو. سأله بأسلوبه الفظ: "حسنًا! هل قتلت أحدًا بعد؟"

احمر وجه أندرو. "كنت محقاً. إنه التيفوئيد. لقد جئت لأطلب نصيحتك."

ابتسم ديني ابتسامة خفيفة. "إذن من الأفضل أن تدخل. اجلس. هل تريد مشروبًا؟ لا! لم أظن أنك ستفعل!" جلس صامتًا لبضع لحظات، يدفع الكلب هوكينز بقدمه. ثم أشار إلى الطاولة وقال: "انظر إلى هذا."

كان هناك مجهر على الطاولة. نظر أندرو من خلاله ورأى، على شريحة زجاجية، البكتيريا المسؤولة عن الحمى.

سأل أندرو باهتمام: "إذن لديكم حالات تيفوئيد أيضاً؟"

أربعة - وجميعها في نفس المنطقة التي تقع فيها منطقتك. هذه البكتيريا تأتي من البئر الموجودة في جلايدار بليس.

نظر إليه أندرو بدهشة.

وتابع ديني قائلاً: "إنّ المجاري هي سبب المشكلة. توجد بها ثقوب، ويتدفق التراب من خلالها إلى البئر. لقد أبلغت غريفيث بالأمر عدة مرات، لكنه يرفض القيام بأي شيء."

صرخ أندرو قائلاً: "هذا مُخجل!". ثم نهض واتجه نحو الباب. "شكراً على المعلومات. سأطلب من جميع مرضاي في جلايدار بليس غلي الماء في المستقبل."

ضحك ديني قائلاً: "غريفيث هو من يجب سلقه! ربما سنضطر إلى رؤية بعضنا البعض أكثر قبل أن يتحسن هذا الوضع . تعال لرؤيتي في أي وقت تستطيع فيه تحمل ذلك."

أثناء عودته إلى المنزل عبر ساحة غليدار، حيث ترك أوامره المتعلقة بالمياه، أدرك أندرو أنه لم يكن يكره ديني بالقدر الذي ظنه. بدا سلوك ديني غريبًا بالنسبة لأندرو، وعندما وصل إلى المنزل، قرر البحث عن مؤهلاته في أحد كتب بيج الطبية القديمة. وجد أن ديني، الذي ينتمي إلى عائلة مرموقة، قد تلقى تعليمه في جامعة إنجليزية، وحصل على شهادات مرموقة من أحد أفضل مستشفيات لندن.

كان ديني، في الواقع، طبيباً ممتازاً. كان يُولي مرضاه أفضل رعاية ممكنة، ويعاملهم بلطف بالغ. لكنه كان يرفض وصف الأدوية إلا عند الضرورة. لم يكلف العديد من الأطباء أنفسهم عناء معرفة ما يُعاني منه مرضاهم حقاً، بل كانوا يصفون لهم أدوية عديمة الفائدة. هذا ما جعل ديني ينتقد الممارسة الطبية بشدة، وهو ما يُفسر سلوكه الغريب أحياناً.

الفصل الثالث - المجاري

عمل أندرو بجدٍّ لعلاج مرضى الحمى. والآن، بعد أن أصبح مرضاه يشربون الماء المغلي فقط، بدأت حالتهم تتحسن بسرعة. صاح فرحًا: "أنا أنجح!"

ثم، في أحد أيام شهر نوفمبر، قبيل الغداء مباشرة، اتصل به ديني هاتفياً.

"مانسون، أود رؤيتك. هل يمكنك المجيء إلى منزلي الساعة الثالثة؟ الأمر مهم."

حسنًا جدًا. سأكون هناك.

تناول أندرو غداءه غارقاً في التفكير. وبينما كان يأكل، نظرت إليه الآنسة بيج بريبة وسألته: "من اتصل بك؟ إنه ديني، أليس كذلك؟ لقد حذرتك من مقابلة ذلك الرجل. إنه عديم الفائدة!"

أجاب أندرو بغضب: " أنتِ مخطئة يا آنسة بيج! لقد وجدته مفيداً للغاية."

"إنه طبيب سيء. يرفض إعطاء الأدوية. إنه وقح للغاية أيضاً! أمنعك من رؤيته."

أنهوا طعامهم في صمت. بعد الغداء، سار أندرو ببطء في الشارع باتجاه منزل ديني.

استقبله فيليب بالخبر: "توفي الشاب جونز هذا الصباح. ولدي حالتان جديدتان مصابتان بالتيفوئيد."

نظر أندرو إلى الأرض بتعاطف، بالكاد يعرف ماذا يقول.

قال ديني بمرارة: "لا تبدُ سعيدًا جدًا حيال ذلك. أنت تستمتع برؤية قضاياي تسوء، بينما تتحسن قضاياك! ولكن إذا كان هذا المجاري..."

قاطع أندرو قائلاً: "لا، لا! أنا آسف - صدقاً، أنا آسف. يجب أن نفعل شيئاً حيال المجاري. يجب أن نكتب إلى-"

صرخ فيليب: "لا فائدة من كتابة الرسائل! هناك طريقة واحدة فقط لإجبارهم على بناء مجاري صرف صحي جديدة."

'ما هذا؟'

"فجّروا القديم!"

لم يكن أندرو متأكدًا مما إذا كان ديني قد جنّ. "لكنك لا تتحدث بجدية."

نظر إليه ديني بازدراء. "لست مضطراً لمساعدتي إذا كنت لا تريد ذلك."

وعد أندرو قائلاً: "سأساعدك".

طوال ذلك اليوم، وبينما كان مانسون يزور مرضاه، تمنى لو لم يقطع ذلك الوعد. كانت خطة ديني محفوفة بالمخاطر! لو انكشف أمرهما، لكان كلاهما قد طُردا من وظيفتيهما. ارتجف أندرو عند هذه الفكرة. كان غاضبًا من فيليب، وأقسم مرارًا وتكرارًا أنه لن يذهب. لكن لسبب ما، لم يستطع أن يخلف وعده.

في تمام الساعة الحادية عشرة من تلك الليلة، انطلق ديني برفقة كلبه هوكينز. كان الجو شديد الظلام والمطر، وهبت ريح عاتية تحمل المطر في وجوههم. سار الرجلان، وكان كل منهما يحمل متفجرات في جيوب معطفه، بخطى سريعة في الشوارع الخالية. وعندما وصلا إلى بالوعة الصرف الصحي في ساحة غليدار، كسرا غطاءها الذي لم يُفتح منذ سنوات طويلة، ثم سلطا ضوءًا في الداخل.

قال ديني: "جميل، أليس كذلك؟ أترى الثقوب في الجدار؟ انظر يا مانسون - انظر للمرة الأخيرة!"

لم يُقال شيء آخر. وضعوا متفجراتهم داخل المجاري، وأعادوا الغطاء، ثم ركضوا في الشارع.

عندما كانوا على بعد حوالي 25 متراً فقط، وقع انفجار مدوٍ.

قال أندرو بحماس: "لقد فعلناها يا ديني!"

وتبع ذلك خمسة انفجارات أخرى، كان آخرها عالياً لدرجة أنه كان يُسمع في جميع أنحاء الوادي.

قال ديني: "ها قد انتهى الأمر! هذه هي نهاية هذا السبب المحدد للبؤس!"

فورًا تقريبًا، فُتحت الأبواب والنوافذ، وهرع الناس من منازلهم. وفي غضون دقيقة، امتلأ الشارع بالناس. مستغلين الظلام والضجيج، أسرع ديني ومانسون إلى منزلهما.

قبل الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي، وصل الدكتور غريفيثس إلى مكان الحادث. وقد تم استدعاؤه من قبل عدد من أهم رجال المدينة، الذين أخبروا طبيبهم بصوت عالٍ، حتى يسمعه الجميع، أنه أهمل واجبه بشكل مخزٍ للغاية.

بعد أن انتهوا منه، توجه غريفيثس إلى ديني الذي كان يقف مع مانسون بين الحشد يستمع إلى المشاحنات الغاضبة.

قال: "حسنًا يا ديني، سأضطر الآن إلى بناء مجاري الصرف الصحي الجديدة لك."

لم تظهر على وجه ديني أي تعابير. قال ببرود: "لقد حذرتك من هذا قبل عدة أشهر. ألا تتذكر؟"

"أجل، أجل! لكن كيف لي أن أتوقع أن ينفجر هذا الشيء؟ إنه لغز بالنسبة لي كيف حدث ذلك."

بدأ العمل على بناء مجاري الصرف الصحي الجديدة يوم الاثنين التالي.

الفصل الرابع - زيارة إلى المدرسة

وبعد مرور ثلاثة أشهر، بدأ أندرو يُعجب بالمدينة القديمة القذرة وسكانها الغريبين، ولكن الطيبين.

شعر بسعادة غامرة، فخرج ذات ظهيرة لزيارة صبي صغير في التاسعة من عمره، يُدعى جو. لم يكن مريضًا جدًا، ولكن نظرًا لفقر الأسرة، بدا أن مرضه سيُثقل كاهل والدة الصبي بأعباء إضافية.

وفي نهاية زيارته، قال لها أندرو: " أخشى أنه لا يزال يتعين عليكِ إبقاء شقيقه في المنزل وعدم إرساله إلى المدرسة".

نظرت والدة جو إليه بدهشة. "لكن الآنسة بارلو قالت إنه ليس من الضروري أن أبقيه في المنزل."

على الرغم من تعاطفه، شعر أندرو بالانزعاج. سأل: "أوه! ومن هي الآنسة بارلو؟"

"إنها معلمة المدرسة. اتصلت بي لرؤيتي هذا الصباح."

لم يُجب أندرو. لكن عند مغادرته المنزل، سار مباشرةً إلى المدرسة لمقابلة تلك المعلمة. عندما دخل الصف، كان جميع الأطفال جالسين على مقاعدهم. كانت الآنسة بارلو تُدير ظهرها له، ولم تلاحظه في البداية. ثم استدارت فجأة.

كانت مختلفة تماماً عن معظم معلمي المدارس الذين قابلهم، لدرجة أن أندرو توقف في حيرة من أمره.

سأل بحرج: "هل أنتِ الآنسة بارلو؟"ـ

«نعم». كانت شابة صغيرة الحجم، جذابة وأنيقة الملبس، في الثانية والعشرين من عمرها تقريباً. نظرت إليه للحظة، ثم ابتسمت. «أنت تعمل لدى الدكتور بيج، أليس كذلك؟»

أجاب ببرود: "لا داعي لذلك! أنا الدكتور مانسون. لديكم هنا صبي يعاني شقيقه من مرض خطير قد ينتقل إلى أطفال آخرين. يجب أن يكون في المنزل."

ابتسمت مرة أخرى. "أجل، أعرف."

أثار رفضها التعامل مع زيارته بجدية غضب أندرو. قال: "ألا تدركين أنكِ تخالفين القواعد بالسماح لهذا الصبي بالقدوم إلى المدرسة؟"

أثار تصرفه غضب الآنسة بارلو. لكنها أجابت بهدوء: "معظم الأطفال هنا أصيبوا بالمرض نفسه، ومن المؤكد أن الآخرين سيصابون به على أي حال. وإذا لم يأتِ إلى المدرسة، فسيفتقد حليبه المجاني، الذي يفيده كثيراً."

"يجب أن يكون في المنزل! يجب أن ترسلي ذلك الطفل إلى المنزل فوراً"، أمرها أندرو.

بدت عليها علامات الغضب الآن. "أنا المسؤولة عن هذا الفصل. قد يكون بإمكانكم إخبار الناس بما يجب عليهم فعله في أماكن أخرى، لكنني هنا من يصدر الأوامر."

صرخ قائلاً: "أنت تخالف القانون! سأضطر إلى الإبلاغ عنك."

أجابت الآنسة بارلو: "إذن أبلغوا عني". ثم التفتت إلى الأطفال وقالت: "قفوا يا أطفال، وقولوا: صباح الخير يا دكتور مانسون. شكراً لحضورك".

نهض الأطفال ورددوا الكلمات بأدب. ثم أرشدته إلى الخارج وأغلقت الباب خلفه برفق.

الفصل الخامس - كريستين

كتب مانسون عدة رسائل، لكنه مزقها جميعها. شعر بالغضب من نفسه لأنه فقد أعصابه. قرر عدم الإبلاغ عن المعلمة. حاول نسيان الأمر، لكنه لم يستطع نسيان كريستين بارلو.

بعد أسبوعين، وبينما كان يسير في الشارع، نادته السيدة براموبل قائلة: "أوه، دكتور مانسون! أريد أن أراك. هل ستأتي لتناول العشاء الليلة؟ لقد دعوت ثلاثة أشخاص آخرين لطفاء للغاية - السيد والسيدة واتكينز من المنجم، والمعلمة كريستين بادو."

أشرق وجه مانسون فرحاً. "حسناً، بالطبع سآتي يا سيدتي براموبل. شكراً لكِ على دعوتي."

طوال بقية اليوم، لم يفكر إلا في أنه سيقابل كريستين بارلو مجدداً. بعد جراحة المساء، أسرع إلى منزل عائلة براموبل. شعر بحرج شديد. لم يجرؤ حتى على النظر إلى كريستين أثناء العشاء، ولم يوجه لها أي كلمة بعده. كان يرغب في التحدث إليها، لكنه لم يملك الشجاعة الكافية. ولكن عندما انتهى حفل العشاء، تحدث إليها وهي تغادر المنزل.

سأل: "آنسة بارلو، هل لي أن أوصلك إلى المنزل؟"

قالت له: "شكراً لك، لكن السيد والسيدة واتكينز قد عرضا بالفعل أن يأخذاني".

شعر أندرو بخيبة أمل كبيرة. قال فجأة: "أريد أن أقول إنني آسف! لقد تصرفت بشكل سيء للغاية. كان قرارك بشأن ذلك الصبي صائباً. أنا معجب بك لذلك. تصبح على خير!"

لم ينتظر ردها. استدار وسار في الطريق. ولأول مرة منذ أيام عديدة، شعر بالسعادة.

لم يسبق لأندرو أن أحب من قبل. كان يخشى الوقوع في الحب، خشية أن يعيق ذلك عمله. لكنه لم يستطع كبح مشاعره تجاه كريستين. كان يتوق بشدة لرؤيتها مجدداً.

ثم، في أحد أيام شهر مايو، تلقى منها رسالة تدعوه فيها إلى العشاء.

في الليلة التالية، كاد أن يركض إلى المنزل الذي تسكنه كريستين. وصل مبكراً - قبل عائلة واتكينز، الذين دُعوا أيضاً.

استقبلته كريستين بحفاوة بالغة. كان سعيداً للغاية لدرجة أنه كاد لا يستطيع الكلام.

قال وهو يتبعها إلى غرفة المعيشة: "لقد كان يوماً جميلاً، أليس كذلك؟"

"جميل"، وافقت. "لقد ذهبت في نزهة رائعة بعد ظهر اليوم."

جلست. كم كان من الرائع أن أكون هنا معها! كانت غرفتها، المليئة بممتلكاتها الخاصة، مريحة وجميلة. شعر بالاسترخاء، وبدأ يسألها أسئلة عنها.

أجابته ببساطة. توفيت والدتها عندما كانت في الخامسة عشرة من عمرها، وبعد أربع سنوات، قُتل والدها وشقيقها في حادث بمنجم الفحم الذي كانوا يعملون فيه. لم يعد لديها أقارب. قالت: "كان الناس لطفاء معي، وكان السيد والسيدة واتكينز لطيفين للغاية . جئت للعمل في المدرسة هنا". ثم صمتت قليلاً، ثم أضافت: "لكنني مثلك، ما زلت أشعر بالغربة والوحدة هنا".

نظر إليها وقال: "من السهل أن تشعر بالوحدة هنا. أتمنى في كثير من الأحيان لو كان لدي شخص أتحدث إليه."

ابتسمت وقالت: "عن ماذا تريد أن تتحدث؟"

احمر وجهه. "أوه، أعتقد أن السبب هو عملي. يبدو أن لدي الكثير من المشاكل"، هكذا شرح الأمر.

هل تقصد أن لديك قضايا صعبة؟

«لا، ليس تمامًا». ثم توقف قليلًا. «عندما أتيت إلى درينفي ، تخيلت أن حياة الطبيب ستكون ممتعة للغاية؛ لكنني أكتشف الآن أنها أبعد ما تكون عن ذلك. النظام برمته خاطئ. على سبيل المثال، يأتي مريض إلى العيادة ليأخذ زجاجة دواء، فيُعطى ماءً ملونًا! هذا غير صحيح! لا يبذل الأطباء جهدًا كافيًا لمعرفة ما يُعاني منه المريض قبل علاجه. إنهم دائمًا في عجلة من أمرهم!»

كانت كريستين على وشك الرد عندما رن جرس الباب. نهضت قائلة: "آمل أن تخبرني المزيد عن هذا في وقت آخر".

دخل السيد واتكينز وزوجته، وجلسوا لتناول العشاء على الفور تقريبًا. كان العشاء شهيًا، وقُدِّمَ بشكلٍ أنيق. بعد العشاء، روى السيد واتكينز قصصًا أضحكت الجميع. مرّ المساء سريعًا. عندما نظر أندرو إلى ساعته، رأى، لدهشته، أنها تقارب الحادية عشرة.

نهض بحزن ليغادر. شكر كريستين التي رافقته إلى الباب. "هل يُمكنني رؤيتكِ مرة أخرى؟" توقف للحظة. "هل تُريدين - كريستين، هل تُريدين الخروج معي في إحدى الأمسيات؟"

ابتسمت. "حسنًا، ربما!"

أراد تقبيلها. أمسك بيدها للحظة، ثم استدار وركض في طريقه إلى المنزل. يا لها من فتاة جميلة! وقد سماها كريستين!

الفصل السادس - علاج "المجنون"

شعر أندرو بالسعادة والأمل. وقد أثر هذا الشعور بالحماس على عمله: فقد أراد أن يفعل شيئًا يجعل كريستين فخورة به.

خلال الأسابيع القليلة التالية، لم يكن لديه سوى حالات بسيطة للغاية ليعالجها، مثل جروح اليد ونزلات البرد. وبدأ يتساءل عما إذا كان طبيب في مكان منعزل كهذا سيحظى بفرصة للقيام بعمل ذي أهمية حقيقية.

لكن في تمام الساعة السادسة من صباح أحد الأيام، أيقظته آني التي أعطته رسالة من الدكتور براموِيل وعيناها تدمعان. فتح أندرو الظرف بسرعة وقرأ: "تعال فوراً. أريدك أن تساعدني في التعامل مع رجل مجنون خطير."

قالت آني وهي تمسح دموعها: "إنه أخي إملين يا دكتور. لقد كان مريضاً لمدة ثلاثة أسابيع. خلال الليل أصبح عنيفاً فجأة وهاجم زوجته بسكين. تعال بسرعة يا دكتور."

ارتدى أندرو ملابسه في ثلاث دقائق، وذهب مع آني إلى منزل إملين. وهناك وجد براموِيل جالساً على طاولة يكتب.

"آه، مانسون! شكراً لقدومك بهذه السرعة!"

'ماذا جرى؟'

لقد جنّ إملين. سيتعين علينا إرساله إلى مستشفى الأمراض العقلية على الفور. لكن بالطبع، لن يقبلوه إلا إذا وقّع طبيب ثانٍ على تقريري، قائلاً إنه مجنون. لهذا السبب استدعيتك.

سأل أندرو: "ما هي أسبابك لاعتباره مجنوناً؟"ـ

براموِيل تقريره.

"يبدو الأمر سيئاً بالتأكيد"ـ وافق أندرو بعد أن انتهى براموِيل. "حسناً، سأفحصه."

كان إملين في فراشه، وبجانبه يجلس اثنان من أصدقائه من المنجم - تحسباً لعودته إلى العنف. وعند أسفل السرير وقفت زوجته تبكي.

انتاب أندرو شعور مفاجئ بالبرد، يكاد يكون خوفاً. توجه نحو إملين، وفي البداية، لم يتعرف عليه الرجل. تحدث إليه أندرو، فأجابه إملين بكلمات مبهمة. ثم رفع يديه وصرخ مهدداً أندرو. ساد الصمت بعد ذلك.

أظهر إملين جميع علامات الجنون. لكن لسبب ما، شكّ أندرو في جنونه. ظلّ يسأل نفسه عن سبب تصرّف إملين على هذا النحو. ربما كان هناك سبب طبي آخر. لمس وجه الرجل المنتفخ، ولاحظ بدهشة أن إصبعه لم يترك أثراً. أدرك على الفور سبب المشكلة. أنهى فحصه للتأكد من صحة تشخيصه، ثم عاد إلى براموِيل.

قال وهو يحاول إخفاء حماسه: "اسمع يا براموِيل، لا أعتقد أنه ينبغي علينا التوقيع على هذا التقرير".

ماذا؟ لكن الرجل مجنون!

أجاب أندرو: "هذا ليس رأيي. في رأيي، إملين تعاني فقط من مشكلة هرمونية."

براموبل متفاجئاً للغاية لدرجة أنه لم يستطع الكلام.

اقترح أندرو: "دعونا نحاول علاجه بدلاً من إرساله إلى مستشفى الأمراض العقلية".

قبل أن يتمكن براموبل من الاعتراض، خرج أندرو من الغرفة.

وبعد بضع دقائق، عاد برفقة زوجة إملين وأخبرها، بينما كان براموبل يستمع، بما يخططون لفعله.

بعد أسبوعين من بدء علاج أندرو الجديد، تحسنت حالة إملين بما يكفي لمغادرة فراش المرض؛ وبعد شهرين عاد إلى العمل.

في إحدى الأمسيات، ذهب هو وزوجته إلى العيادة وقالا لأندرو: "نحن مدينون لك بكل شيء. نود أن تكون طبيبنا المعتاد في المستقبل. براموبل لا يعرف شيئًا: إنه أحمق عجوز!"

أجاب أندرو: "لا يمكنك تغيير الأطباء. لن يكون ذلك منصفاً لبراموبل".

لكن أندرو شعر بالسرور لأنهم أرادوا التغيير؛ وبمجرد مغادرتهم، ذهب إلى كريستين ليخبرها بنجاحه.

الفصل السابع - فريدي هامسون

في شهر يوليو، عُقد اجتماع هام للأطباء البريطانيين في العاصمة الويلزية كارديف. لم يكن أندرو ينوي الذهاب إلى هذا الاجتماع بسبب التكلفة، ولكن قبل أيام قليلة من بدايته، تلقى رسالة من صديقه فريدي هامسون يحثه فيها على الحضور ويدعوه لتناول العشاء معه مساء السبت.

أظهر أندرو الرسالة لكريستين، التي كان مغرماً بها بشدة، وسألها: "هل ستأتين معي؟ أود أن تقابلي هامسون."

قالت: "أود أن آتي".

يوم السبت، استقلّت كريستين وأندرو القطار إلى كارديف. ابتسم أندرو لكريستين التي كانت تجلس في المقعد المقابل. تمنى لو يُقبّلها ويضمّها إلى صدره. قال بصوتٍ متقطع: "سنقضي وقتًا ممتعًا هذا المساء. فريدي رجلٌ لطيف. ستُعجبين به."

عندما وصلوا إلى كارديف، ذهبوا إلى الفندق الذي كان يُعقد فيه الاجتماع. لم يكن هامسون قد وصل بعد. لذا وقفوا معًا، يراقبون الأطباء وزوجاتهم وهم يتحدثون ويضحكون.

بعد فترة، وصل فريدي واتجه نحوهما. "مرحباً! مرحباً! آسف على التأخير. حسناً، حسناً! من الجيد رؤيتك مجدداً يا أندرو. أرى أنك ما زلت مانسون القديم! لم لا تشتري لنفسك بدلة جديدة؟" فجأةً لاحظ كريستين، فابتسم وأمر أندرو: "عرّفني عليها يا رجل! استيقظ!"

بينما كان الطبيبان في اجتماعهما، خرجت كريستين لتتجول في المتاجر. ثم، في وقت مبكر من المساء، التقوا مجددًا في الفندق. أثناء العشاء، بدأ فريدي يتحدث عن الأيام التي درس فيها الطب مع أندرو. قال بنبرة ساخرة: "لم يخطر ببالي حينها أنك ستعيش في الريف هكذا!"

سألت كريستين ببرود: "هل تعتقدين حقاً أنه دفن نفسه؟"

ساد صمتٌ للحظات. ابتسم فريدي لأندرو. "ما رأيك في الاجتماع؟"

أجاب أندرو متشككاً: "أفترض أن المناقشات تساعد في الحفاظ على تحديث معلومات المرء".

«أوه، لا أُعر أي اهتمام لهذه النقاشات. حاشا لله! لقد جئت إلى هنا للقاء الأطباء - الأطباء المهمين الذين سيفيدونني في مهنتي. ستندهش من عدد الرجال المفيدين الموجودين هنا. عندما أعود إلى لندن، سأدعوهم لتناول وجبة. ثم سنعمل معًا.»

قال مانسون: "أنا لا أفهم يا فريدي".

«الأمر بسيط! عندما يأتي إليّ الأثرياء، سأفحصهم أولًا، ثم أحيلهم إلى طبيب آخر ليرى إن كان يتفق مع رأيي بشأن مرضهم والعلاج المناسب. في المقابل، سيحيل إليّ هؤلاء الأطباء بعض مرضاهم. ثم يدفع المرضى لكلٍّ منا. هذه هي طريقة جني المال!» ضحك فريدي. «يجب أن تأتي إلى لندن يومًا ما. حينها يمكننا أن نتعاون!»

نظرت كريستين بسرعة إلى هامسون، وكانت على وشك الكلام، لكنها توقفت فجأة.

وتابع فريدي مبتسماً: "والآن أخبرني عن نفسك يا مانسون، ماذا كنت تفعل؟"

"أوه، لا شيء مهم. معظم مرضاي هم عمال مناجم الفحم وعائلاتهم."

"هذا لا يبدو جيداً على الإطلاق!"

قال أندرو: "أنا أستمتع بعملي".

قاطعت كريستين قائلة: "وأنت تقوم بعمل مهم".

"نعم، كانت لديّ قضية مثيرة للاهتمام مؤخراً." بدأ أندرو يخبر هامسون عن إملين. لكن هامسون لم يكن يستمع حقاً.

في تمام الساعة العاشرة غادر أندرو وكريستين. وبينما كانا يسيران عائدين إلى محطة القطار، سأل أندرو: "هل أعجبك هامسون؟"

"لا، ليس كثيراً." توقفت للحظة. "إنه مغرور جداً بنفسه. يعتبر نفسه أفضل منك بكثير. أكره هذه الطريقة في الكلام."

بدا أندرو متفاجئاً. "أوافق على أنه راضٍ عن نفسه إلى حد ما، لكنه في الحقيقة رجل لطيف للغاية."

"لا بد أنك أعمى إذا لم تستطع رؤية نوع الشخص الذي هو عليه! إنه لا يفكر إلا في نفسه!" لم يرَ أندرو كريستين غاضبة هكذا من قبل.

دخلا محطة القطار. أراد أندرو التحدث بهدوء مع كريستين لحلّ خلافهما البسيط، وليخبرها عن حبه لها. لكن القطار كان مزدحماً ولم يتمكنا من البقاء بمفردهما.

كان الوقت متأخراً عندما وصلوا إلى درينفي، وبدت كريستين متعبة للغاية. لذا أوصلها إلى منزلها وقال لها تصبحين على خير.

الفصل الثامن - الطفل مورغان

كان الوقت قد اقترب من منتصف الليل عندما وصل أندرو إلى منزل عائلة بيج. وجد جو مورغان في انتظاره. كان مورغان وزوجته متزوجين منذ 20 عامًا، والآن، ولفرط سعادتهما، كانا ينتظران مولودهما الأول.

قال جو: "أوه، يا دكتور، أنا سعيد برؤيتك!" "زوجتي - تعالي بسرعة."

ركض أندرو إلى المنزل ليأخذ حقيبة آلاته الموسيقية، ثم أسرع إلى منزل مورغان.

قال مورغان عندما وصلوا: "سأنتظر في الخارج يا دكتور. أنا قلق للغاية من الدخول".

في الداخل، كان هناك درج ضيق يؤدي إلى غرفة نوم صغيرة، كانت نظيفة لكنها تفتقر إلى الأثاث، ولم تكن مضاءة إلا بمصباح زيتي. هناك، وقفت والدة السيدة مورغان وممرضة بدينة بجانب السرير بقلق، تراقبان تعابير وجه أندرو وهو يتحرك في الغرفة.

ابتسم أندرو وقال لهم مطمئناً: "لا تقلقوا!"

كان يعلم أن هذه القضية ستستحوذ على كل اهتمامه. ولأنه لم يكن بوسعه فعل شيء في الوقت الراهن، جلس وانتظر، وهو يفكر في كريستين.

في تمام الساعة الثالثة والنصف، توجه إلى السرير ورأى أنه يستطيع الآن أن يبدأ عمله. لقد كانت ولادة طويلة وشاقة. ثم، مع بزوغ الفجر، وُلد الطفل - بلا حراك.

بينما كان أندرو ينظر إلى جسد الطفل الأبيض الساكن، شعر ببرودة تسري في جسده. فأسرع بتسليم الطفل للممرضة، ثم التفت إلى السيدة مورغان التي كانت هي الأخرى على وشك الموت. وبسرعة فائقة، تناول زجاجة وأعطاها دواءً لتقوية قلبها، ثم بذل جهدًا محمومًا لإنقاذها بوسائل أخرى. وبعد دقائق، انتعش قلبها. ولما رأى أنها تجاوزت مرحلة الخطر، استدار أندرو نحو الممرضة وصاح: "أين الطفل؟"

بدت الممرضة خائفة: لقد وضعت الطفل تحت السرير.

انحنى أندرو على الفور وأخرج الطفل. وهو لا يزال راكعًا، فحص الصبي، وقرر أن هناك فرصة ضئيلة لإعادته إلى الحياة. قفز واقفًا وأمر الممرضة: «أحضري لي ماءً ساخنًا - وماءً باردًا. وأوعية أيضًا! بسرعة!»

لكن يا دكتور-

صرخ قائلاً: "بسرعة!"

عندما وصلت الأوعية، ملأ أندرو أحدها بالماء البارد والآخر بالماء الساخن. وبسرعة فائقة، وضع الطفل أولاً في أحد الوعاءين ثم في الآخر. استمر في هذه العملية لمدة 15 دقيقة، لكن الطفل لم يُظهر أي علامة على الحياة.

قالت الممرضة: "أنت تضيع وقتك يا دكتور، لقد مات!"

لكن أندرو لم يكترث. وضع الطفل في الماء الساخن والبارد لمدة 15 دقيقة أخرى. وبعد أن فشل مرة أخرى، بذل جهداً أخيراً وأكثر إصراراً، فضغط على صدر الطفل الصغير، محاولاً إنعاش جسده الساكن.

فجأة، تحرك الطفل. وبدأ وجهه وجسمه الأبيض يتحولان تدريجياً إلى اللون الوردي. وبعد بضع دقائق أخرى، بدأ بالبكاء.

صرخت الممرضة قائلة: "يا إلهي! لقد عاد إلى الحياة!"

ناولها أندرو الطفل. شعر بضعف شديد، كاد أن يُغمى عليه. كانت أدواته المتسخة وملابسه وأوعيته ملقاة في برك من الماء على الأرض. كانت السيدة مورغان نائمة، لا تدري ما حدث. وقفت والدتها بجانب الجدار، تُصلي.

قال أندرو: "سأعود لأخذ حقيبتي لاحقاً يا ممرضة".

نزل إلى المطبخ وارتدى قبعته ومعطفه.

في الخارج، وجد جو. قال: "حسنًا يا جو، زوجتك وابنك بخير."

كانت الساعة تقارب الخامسة. وكان بعض عمال المناجم قد خرجوا إلى الشوارع. وبينما كان أندرو يسير عائداً إلى منزله، فكر قائلاً: "لقد فعلت شيئاً! يا إلهي، لقد فعلت شيئاً جيداً أخيراً."

استحم أندرو ونزل لتناول الإفطار. لاحظت الآنسة بيج أن فراشه لم يكن قد استُخدم، فنظرت إليه نظرة حادة وهو يجلس على الطاولة، وقالت: "لقد عدت متأخرًا! أظن أنك قضيت الليل كله في الخارج - تشرب الخمر أو تتورط في مشاكل أخرى. أنت سيء مثل جميع الرجال الآخرين الذين وظفناهم - لا يمكن الوثوق بك!"

كان أندرو غاضباً جداً لدرجة أنه لم يستطع الرد. بعد جراحة الصباح، عاد إلى منزل عائلة مورغان. وبينما كان يسير في شارعهم، ابتسمت له نساء لم يسبق له أن رآهن من قبل بابتسامة ودودة للغاية. وعندما وصل إلى منزل عائلة مورغان، استقبلوه بحفاوة بالغة.

صعد إلى غرفة النوم في الطابق العلوي. كانت الغرفة الصغيرة، التي كانت فوضوية للغاية قبل ساعات قليلة، قد نُظفت ولُمعت؛ وغُسلت أدواته بعناية ووُضعت في حقيبته. كانت هناك ملاءات نظيفة على السرير.

نهضت الممرضة من مقعدها، وابتسمت للأم والطفل، وقالت: " يبدوان بصحة جيدة الآن، أليس كذلك يا دكتور؟ لكنهما لا يعرفان كم سببا لنا من متاعب!"

حاولت السيدة مورغان أن تعرب عن شكرها. سألت: "نحن ممتنون لك للغاية يا دكتور. هل زارك جو بعد؟" فأجاب: "لا؟ حسنًا، إنه قادم."

قبل أن يغادر أندرو المنزل، قدمت له المرأة العجوز كأسًا من النبيذ.

بعد أسبوعين، عندما قام أندرو بزيارته الأخيرة في ذلك اليوم، اتصل به مورغان، الذي كان على وشك السفر إلى الخارج مع زوجته وطفله، لرؤيته.

قال وهو يسلم أندرو شيكاً بقيمة خمسة جنيهات: "لا يمكن للمال أن يدفع ثمن كل ما فعلته من أجلنا، لكن زوجتي وأنا نود أن نقدم لك هذه الهدية الصغيرة".

قال أندرو: "لكنني لا أستطيع قبول هذا يا جو!". كان يعلم أن عائلة مورغان لا تملك الكثير من المال.

قال له جو: "عليك أن تقبلها. نريد منك ذلك. إنها هدية لنفسك - وليست هدية للدكتور بيج. هل تفهم؟"

قال أندرو مبتسماً: "نعم، أفهم يا جو".

أخذ الشيك إلى بنك عائلة بيج وأخبر المدير، السيد ريس، أنه يرغب في فتح حساب.

نظر ريس إلى الشيك وسأل ببطء: "هل تريد أن يكون هذا الحساب باسمك؟"

تفاجأ مانسون من السؤال. "نعم. لماذا؟ هل المبلغ صغير جدًا؟"

"أوه، لا يا دكتور. يسعدنا جداً التعامل معك. همم - هل قلت أنك تريد أن يكون الحساب باسمك؟"

'نعم بالطبع.'

حسنًا يا دكتور. أردت فقط أن أتأكد. صباح الخير يا دكتور مانسون. صباح الخير!

غادر مانسون البنك متسائلاً عما قصده المدير. واستغرق الأمر بضعة أيام قبل أن يتمكن من الإجابة على سؤاله.

الفصل التاسع - شيك جو مورغان

كانت كريستين قد سافرت لقضاء عطلة، وشعر أندرو بالوحدة بدونها. كان الجو حارًا ومرهقًا، وبدت الحياة رتيبة. ثم في أحد الأيام، أرسل واتكينز رسالة يطلب منه الحضور إلى مكتبه.

استقبله مدير مناجم الفحم بودّ. وقال: "اسمع يا دكتور، إملين وعدد من عمال المناجم يريدون مني أن أوظفك كأحد أطباء الشركة".

نظر إليه أندرو بدهشة. "هل تقصد-"

قال واتكينز ببطء: "أعني أنني أود إضافة اسمك إلى قائمة الأطباء، حتى يتمكن أي رجل يرغب في ذلك من ترك الدكتور بيج وجعلك طبيبه المعتاد."

أجاب أندرو: "لا يمكنني الموافقة على ذلك! لن يكون ذلك منصفاً للدكتور بيج، ولن يكون صادقاً!"

شعر واتكينز بخيبة أمل. وحث أندرو قائلاً: "فكر في اقتراحي يا دكتور".

قال بحزم، وإن كان بحزن: "لا فائدة - لم أستطع فعل ذلك!"

تمنى أندرو لو لم تُتح له هذه الفرصة لتحسين وضعه، فحاول أن يُلهيه عن الأمر بالذهاب لرؤية ديني. لكنه، ولخيبة أمله، وجد أن ديني كان ثملاً ولم يكن قادراً على التصرف أو الكلام بعقلانية. فوضعه أندرو في فراشه وانصرف.

في صباح اليوم التالي، وبعد الجراحة، عاد إلى منزل ديني للاطمئنان عليه. فوجد حالته أسوأ. وبعد أن شتم ديني وحرارة الصيف، سارع أندرو لزيارة مرضى فيليب بالإضافة إلى مرضاه.

عندما زاره في المساء، صرخ ديني: "المهنة الطبية! هه! إنها أسوأ نظام في العالم! إنها ليست نزيهة! أعطني مشروبًا آخر." ثم توقف قليلًا وقال: "مانسون، أنت رجل طيب! أحبك أكثر من أخي. يجب أن نعمل معًا. سنغير هذه المهنة بأكملها قريبًا."

كاد ديني أن يسقط أرضًا، فأدخله أندرو إلى الفراش للمرة الثانية. وطوال بقية ذلك الأسبوع، قام أندرو بكل أعمال ديني. ثم، يوم الأحد، كان ديني قد تعافى تمامًا.

قال بصوت بارد: "أفهم أنك كنت تقوم بعملي نيابة عني يا مانسون".

كان أسلوبه باردًا لدرجة أن أندرو غادر المنزل غاضبًا على الفور. قال أندرو في نفسه: "يتصرف وكأنه سمح لي بسخاء بالقيام بعمله!". لكن سرعان ما تلاشى غضبه. كان يكنّ المودة لفيليب، ويحترم أمانته ومهارته كطبيب.

عندما وصل أندرو إلى المنزل، صرخت عليه الآنسة بيج قائلة: "هل هذا أنت يا دكتور؟ دكتور مانسون! أريدك!"

أجاب بانزعاج: "ما الأمر يا آنسة بيج؟"

اقتربت منه وقالت وهي ترفع شيك جو مورغان: "ماذا، قد تسأل! تفضل بشرح هذا!"

رفع أندرو رأسه فرأى ريس واقفاً خلف الآنسة بيج.

"نعم، لديك سبب للدهشة!" تابعت الآنسة بيج. "ربما ستشرح سبب إيداعك هذا المال في حسابك المصرفي بدلاً من حساب الدكتور بيج."

شعر أندرو بغضب شديد. "إنها أموالي! جو مورغان أعطاني إياها كهدية."

"هدية! من السهل قول ذلك الآن بعد أن أصبح في الخارج!"

اكتب إليه واسأله إن كنت تشك في كلامي.

أشك في كلامك! أنت تحاول الاستيلاء على عيادة الدكتور بيج. هذا يدل على نوع الرجل الذي أنت عليه. أنت لا تفكر إلا في مصالحك الشخصية.

تحرك أندرو نحوهما، وعيناه مثبتتان على ريس. قال: "آنسة بيج، ما لم تتراجعي عن هذه الكلمات في غضون دقيقتين، فسأرفع دعوى قضائية ضدك في المحكمة - وسأعاقب مدير البنك الخاص بك بطريقة لم يعاقب بها من قبل!"

قال مدير البنك بصوت ضعيف: "أنا - أنا فقط قمت بواجبي".

"أنا أنتظر يا آنسة بيج"، حذرها أندرو.

أدركت أنها قد قالت الكثير. "أنا - أنا آسفة."

أخذ أندرو نفسًا عميقًا سريعًا. "آنسة بيج، هناك أمرٌ أريد إخبارِكِ به. في الأسبوع الماضي، دُعيتُ لأصبح طبيبًا رسميًا لشركة التعدين، لكنني رفضتُ العرض لأنني لم أعتبره منصفًا للدكتورة بيج أن أقبله. الآن، سئمتُ منكِ لدرجة أنني قررتُ الرحيل. أُبلغكِ قبل شهر."

نظرت إليه بدهشة. صرخت قائلة: "أكاذيب - كلها أكاذيب! لا يمكنك إعطائي إشعارًا بالرحيل!"

لم يقل أندرو شيئاً آخر. صعد إلى غرفته في الطابق العلوي وأغلق الباب.

الفصل العاشر - منشور جديد

بدأ أندرو البحث فوراً عن وظيفة أخرى، لكنه لم يتلق أي رد على رسائله. انتابه قلق شديد، فكيف سيعيش؟

ثم في أحد الأيام، بينما كان يسير حزيناً في الشارع، التقى بديني.

أطفأ فيليب رماد غليونه وقال: "أنا آسف لمغادرتك يا مانسون". ثم توقف قليلاً وقال: "سمعت بعد ظهر اليوم أن جمعية أبيرالاو الطبية تعلن عن وظيفة شاغرة. أبيرالاو - إنها تبعد 50 كيلومتراً أسفل الوادي. لم لا تحاول التقدم للوظيفة؟"ـ

بدا أندرو متشككاً. قال ببطء: "حسناً، نعم، يمكنني المحاولة".

عاد إلى منزله سيراً على الأقدام، وكتب إلى الجمعية.

بعد أسبوع، ذهب أندرو وسبعة أطباء شباب آخرين إلى أبيرالاو للخضوع للفحص من قبل لجنة الجمعية. كان عصر يوم صيفي جميل، وقد أعجب أندرو بأبيرالاو، التي كانت أكبر من درينفي بشوارعها ومتاجرها الجيدة وحقولها الخضراء المحيطة بها. قال لنفسه وهو ينتظر دوره في الفحص: "لكنني لن أحصل على هذا المنصب". كان الرجال الآخرون أكثر أناقة منه وثقة بالنفس. لكن ماذا ستظن كريستين به إن فشل؟ ستعود إلى درينفي إما اليوم أو غدًا. لم يخبرها عن المنصب؛ أراد أن يفاجئها ويكسب احترامها بإبلاغها بالخبر السار بأنه قد حصل على المنصب.

دخل أندرو، الرجل الثالث الذي خضع للاستجواب، غرفة اللجنة بشعور من الخوف والعزيمة. كان في الغرفة نحو ثلاثين عامل منجم. وعلى طاولة صغيرة، جلس رجل شاحب ذو وجه بشوش. كان أوين، السكرتير.

شرح أوين، بصوت هادئ، النظام الطبي في أبيرالاو. قال: "يدفع عمال المناجم جزءًا من أجورهم أسبوعيًا للجمعية، ومن هذا المال، توفر الجمعية الخدمات الطبية، بما في ذلك المستشفى. وتوظف الجمعية طبيبًا رئيسيًا، هو الدكتور ليويلين، وأربعة أطباء آخرين لمساعدته، وطبيب أسنان؛ ويتلقى كل طبيب أجرًا عن كل مريض مسجل لديه". ثم التفت أوين إلى اللجنة قائلًا: " والآن، أيها السادة، هل لديكم أي أسئلة للدكتور مانسون؟"

بدأت عدة أصوات تصرخ بأسئلة موجهة إلى أندرو. فأجابهم بهدوء، ثم عاد إلى غرفة الانتظار. بعد ذلك دخل الرجل التالي.

عاد الرجل الأخير من امتحانه وعلى وجهه ابتسامة رضا. بدا وكأن تعابيره تقول: "أنا الفائز!"

كان هناك انتظار طويل آخر. وأخيرًا، فُتح باب غرفة اللجنة وخرج أوين. نادى قائلًا: "هل يمكنك الدخول لدقيقة يا دكتور مانسون؟ اللجنة تود رؤيتك مرة أخرى."

بينما كان قلبه ينبض بسرعة، تبع أندرو السكرتيرة عائدًا إلى غرفة اللجنة، حيث استقبلته وجوه مبتسمة.

ثم خاطبه أوين قائلاً: "دكتور مانسون، سنكون صريحين معك. كانت اللجنة، بناءً على نصيحة الدكتور ليويلين، تنوي تعيين طبيب ذي خبرة في هذا الوادي؛ لكن اللجنة تشعر الآن أنك قد تكون الخيار الأفضل."

كان أندرو متحمسًا للغاية لدرجة أنه لم يستطع الابتسام.

وتابع أوين قائلاً: "أود أن أضيف، دكتور مانسون، أن اللجنة قد تأثرت برسالتين وردتا من طبيبين في مدينتك. إحداهما من الدكتور ديني، الحاصل على شهادة مرموقة، والأخرى، المرفقة برسالة ديني، موقعة من الدكتور بيج، الذي تعمل لديه. وقد أشاد هذان الطبيبان بعملك إشادة بالغة، ما دفع اللجنة إلى عرض المنصب عليك."

خفض أندرو عينيه، وظل يفكر في تصرف ديني الكريم.

وأضاف أوين: "هناك صعوبة واحدة فقط يا دكتور مانسون. يجب أن يُمنح هذا المنصب لرجل متزوج. فالعمال يفضلون أن يتولى أطباء متزوجون رعاية أسرهم. كما أن السكن مُتاح أيضاً."

ساد صمت طويل. كانوا جميعاً ينظرون إليه. أخيراً، قال أندرو بهدوء: "لا بأس يا سادة. سأتزوج فتاة من درينفي ."

تعالت الهتافات بصوت عالٍ.

قال أوين: "إذن، يا دكتور مانسون، لقد تم تعيينك. متى يمكنك البدء في مهامك؟"

أجاب أندرو: "يمكنني البدء بالعمل الأسبوع المقبل". ثم تجمدت ملامحه وهو يفكر: "ماذا لو لم تتزوجني كريستين!"

وبعد بضع دقائق، غادر أندرو وركض بحماس إلى محطة السكة الحديد ليلحق بالقطار التالي إلى منزله في درينفي.

عندما وصل إلى درينفي، توجه مباشرة إلى منزل كريستين ليرى إن كانت قد عادت من عطلتها. ولما وجد، لفرحته، أن الضوء مضاء في غرفتها، اندفع إلى داخل المنزل.

كريستين!

نظرت إليه بدهشة. "أندرو! كم هو لطيف منك أن تأتي!"

كريس، لدي شيء أريد أن أخبرك به!

ارتسمت على وجهها ملامح القلق. "ماذا حدث؟ هل واجهتَ المزيد من المشاكل مع الآنسة بيج؟ هل ستغادر؟"

هز رأسه. "كريستين! لدي وظيفة جديدة - وظيفة ممتازة! في أبيرالاو." خمسمائة جنيه إسترليني في السنة ومنزل. منزل يا كريستين! يا عزيزتي كريستين، هل تقبلين الزواج بي؟

شحب وجهها بشدة. كانت عيناها تلمعان. قالت بهدوء: "وكنت أظن أنك ستخبرني ببعض الأخبار السيئة!"

"لا، لا - إنها أفضل الأخبار يا عزيزتي"، صرخ. "أوه كريس، أنا أحبك كثيراً، ولكن - ربما أنت لا تحبني".

هي ذهب تجاه له و وضع ها رأس ضد له الصدر . كما هو يضع له ذراع دائري هي ، هي قال : "أوه ، أندرو" عزيزي ، لقد محبوب أنت أبدًا منذ الأزل منذ أن رأيت أنت يمشي داخل لي مدرسة .'

الفصل الحادي عشر - الانتقال إلى أبرالو

وبعد بضعة أيام تزوجا. وفي صباح اليوم نفسه، حزما قطع أثاث كريستين القليلة وأواني الطبخ في حافلة جون لوسين القديمة وانطلقا ببطء عبر الجبال إلى أبيرالاو.

كان الجو مشمسًا ودافئًا. ضحكوا ومزحوا، وكان لوسين، الرجل الذي لا يبالي، يُخرج زجاجة من جيبه بين الحين والآخر ليشرب نخب سعادتهم المستقبلية. تناولوا الغداء في فندق صغير يقع في أعالي الجبال. ثم بدأوا بالنزول إلى الوادي المؤدي إلى أبيرالاو، عبر طريق وعر ضيق تحيط به تلال شديدة الانحدار من الجانبين.

وأخيرًا، وبعد اجتياز منعطفين خطيرين، لاحت لهم مدينة أبيرالاو لأول مرة. كانت لحظة فرح. امتدت المدينة أمامهم، بمنازلها المنتشرة على طول الوادي؛ وكانت متاجرها ومكاتبها وكنائسها في أحد طرفي المدينة، وفي

الطرف الآخر، مناجمها ومداخنها المتصاعدة منها الأدخنة - وكلها مضاءة بأشعة الشمس الساطعة.

همس أندرو وهو يضغط على ذراعها بقوة: "انظري يا كريس، انظري! إنه مكان جميل، أليس كذلك؟ ها هي الساحة! وانظري، ها هي محطة الغاز. لا حاجة لاستخدام مصابيح الزيت هنا يا عزيزتي. أين تعتقدين أن منزلنا؟"

أوقفوا عامل منجم، فأرشدهم إلى فال فيو.

قالت كريستين بينما كانوا يدخلون المنزل الكبير والقبيح، المسمى "فيل فيو"، والذي أصبح الآن منزلهم: "حسنًا! إنه - إنه جميل، أليس كذلك؟"

"نعم يا عزيزتي. إنه - إنه يبدو منزلاً جميلاً."

دخلوا كل غرفة بحماس. كانت الغرف كثيرة وواسعة، لدرجة أنهم لم يجدوا أثاثًا يكفي إلا لغرفتين فقط. أنهوا جولتهم في المنزل في المطبخ، حيث أخرجت كريستين بعض البيض من العلبة وأعدت وجبة.

قال أندرو في غاية السعادة: "يا إلهي، عزيزتي، أنتِ طباخة ماهرة! لقد كانت هذه أشهى وجبة تناولتها في حياتي!". وأضاف: "أوه، أنا متشوق لبدء العمل! لا بد أن تكون هناك فرص جيدة هنا - فرص عظيمة!". وفجأة لمح صندوقًا في الزاوية. "أقول، كريس، ما هذا؟"

هدية زفاف - من ديني.

"ديني!" تغيرت ملامح وجهه. كان فيليب باردًا عندما شكره أندرو على مساعدته في الحصول على الوظيفة الجديدة، وأخبره بنيته الزواج من كريستين. هذا الصباح، لم يودعهما حتى. لقد آلم سلوكه غير الودود أندرو. فتح أندرو الصندوق ببطء، ظنًا منه أنها مزحة. ثم أطلق صرخة فرح. كان بداخله مجهر ديني وملاحظة: "لست بحاجة إلى هذا حقًا. حظًا سعيدًا!"ـ

أخذ أندرو المجهر، وحمله إلى غرفة أخرى، ووضعه برفق على الأرض قائلاً: "بفضل كرم صديقنا العزيز فيليب ديني، سأجعل هذه الغرفة الآن غرفة عملي".

فجأة رن الهاتف.

"ربما يكون مريضًا يا كريس! أول قضية لي في أبيرالاو!" ، ثم ركض إلى الردهة ليجيب على الهاتف. كان المتصل هو الدكتور ليوبلين.

مرحباً يا مانسون. كيف حالك؟ أود أن أرحب بك وبزوجتك في أبيرالاو .

أجاب أندرو: "شكراً لك يا دكتور ليويلين. هذا لطف كبير منك".

هراء! هراء! تعال وتناول العشاء معنا الليلة. ثم يمكننا أنا وأنت أن نتحدث. سننتظرك في تمام الساعة السابعة. مع السلامة.

أسرع أندرو عائدًا إلى كريستين ليخبرها بالدعوة. قال: "ألم يكن ذلك لطيفًا منه يا كريس؟ إنه الطبيب النفسي! وبدا ودودًا للغاية! سيدتي مانسون، سننجح بالتأكيد!" ثم وضع ذراعه حولها وبدأ يرقص.

استقبلهم الدكتور والسيدة ليويلين كأصدقاء قدامى. وخلال العشاء، بينما كانت السيدة ليويلين تتحدث مع كريستين، أخبر الدكتور ليويلين أندرو ببعض التفاصيل الإضافية حول النظام الطبي في أبيرالاو.

«هناك عيادتان - واحدة في غرب المدينة والأخرى في شرقها»، أوضح. «ستعمل في العيادة الغربية مع الدكتور أوركهارت العجوز وجادج، الذي يُحضّر الأدوية. أما هنا، في العيادة الشرقية، فهناك طبيبان آخران: الدكتور ميدلي والدكتور أوكسبورو. جميعهم رجال طيبون، ستُعجب بهم. بالطبع، أنا مشغول جدًا بحيث لا أستطيع العمل في العيادة بنفسي. لديّ الكثير من المسؤوليات الأخرى! أنا مسؤول عن المستشفى، والطبيب المسؤول عن المدينة، وأشغل عدة مناصب مهمة أخرى. كما أن لديّ عيادة خاصة».

قال مانسون: "لديك الكثير من العمل!"

ابتسم ليويلين. "لا بد لي من جني المال يا دكتور مانسون!" ثم توقف قليلاً. "أود فقط أن أذكر أن الأطباء قد وافقوا على أن يدفعوا لي جزءًا صغيرًا من رواتبهم."

رفع أندرو رأسه بدهشة.

بسرعة: "ذلك لأني أعالج مرضاهم نيابة عنهم عندما يشعرون بالقلق. لكننا سنناقش هذا الأمر في وقت آخر".

في تلك اللحظة، نادت السيدة ليويلين زوجها من الطرف الآخر للطاولة قائلة: "لقد تزوجا هذا الصباح فقط! أخبرتني السيدة مانسون بذلك للتو." ثم أمسكت بيد كريستين وقالت: "يا ابنتي المسكينة! ستكونين مشغولة - بمحاولة جعل ذلك المنزل البائس يبدو جميلاً."

احمرّ وجه مانسون. اعترف قائلاً: "هذا صحيح". ثم توقف قليلاً. "هل تعتقد يا دكتور ليويلين أنه من الممكن أن أذهب إلى لندن لمدة يومين لشراء أثاث لمنزلنا؟"

بالتأكيد! يمكنك التغيب عن العمل غداً وبعد غد يا دكتور مانسون.

في تمام الساعة العاشرة، أوصل ليويلين أندرو وكريستين إلى المستشفى، حيث كان لديه بعض المرضى ليفحصهم. كان المستشفى صغيرًا، لكنه متين البناء ويبدو أنه يحتوي على كل ما يلزم. وبينما كان ليويلين يصطحبهما في جولة، فكّر أندرو: "هذا مثالي! سأتمكن من علاج مرضاي بكفاءة عالية هنا!"

قال ليويلين: "أنا فخور جدًا بهذا المكان يا مانسون".

ثم تغيرت تصرفاته فجأة. قال بسرعة: "حسنًا، لا يمكنني إضاعة المزيد من الوقت. يمكنكِ إيجاد طريقكِ إلى المنزل، أليس كذلك؟ ليلة سعيدة!"ـ

وبينما كانا يسيران عائدين إلى المنزل معاً، قال أندرو: "أنا معجب به. أنا معجب به كثيراً. لكن - لكن لماذا يجب أن ندفع له جزءاً من رواتبنا؟ هذا لا يبدو عادلاً!"

عندما عادا إلى منزلهما شبه الخالي، وقفا معًا في الردهة المظلمة. ثم وضع أندرو ذراعه حول كريستين وهمس: "ما اسمكِ يا حبيبتي؟"

أجابت بدهشة: "كريستين".

"كريستين ماذا؟"

"كريستين مانسون". تسارعت أنفاسها، وكانت دافئة على شفتيه.

الفصل الثاني عشر - النظام في أبرالو

ذهبوا إلى لندن واشتروا بعض الأثاث الرخيص، واتفقوا على دفع ثمنه بمعدل بضعة جنيهات شهرياً خلال العام المقبل.

بدأ أندرو عمله صباح الخميس في قسم الجراحة الغربي. كان أول مريض له رجلاً يعاني من ألم شديد في ركبته، وكان يريد شهادة طبية تثبت عدم قدرته على العمل. فحص أندرو ركبته وأعطاه الشهادة. لكن المرضى الثلاثة التاليين طلبوا أيضاً شهادات طبية.

نهض أندرو، وفتح باب غرفة الانتظار، ونادى قائلاً: "كم عدد الرجال الآخرين الذين يريدون شهادات مرضية؟ قف من فضلك."

كان أربعون رجلاً ينتظرون، فنهضوا جميعاً.

كانت الساعة العاشرة والنصف عندما أنهى أندرو عمليته الجراحية. ثم دخل رجل مسن ذو وجه أحمر إلى غرفته. كان هذا هو الدكتور أوركهارت.

قال أوركهارت دون أن يمهد: "يا إلهي! أين كنت طوال اليومين الماضيين؟ لقد اضطررتُ للقيام بعملك. لا عليك! لا عليك! لن أقول المزيد عن ذلك. تعالَ وقابل غادج. إنه رجل بائس، لكنه بارع في عمله."

تبع أندرو أوركهارت إلى غرفة أخرى، حيث لم يلتفت إليه غادج ، وهو رجل نحيف ذو تعبير حزين.

قال أوركهارت بعد أن قدمهما: "حسنًا، هل هناك أي شيء تودون معرفته؟"ـ

قال أندرو له: "أنا قلق بشأن عدد التقارير المرضية التي اضطررت لتوقيعها هذا الصباح. بدا بعض الرجال لائقين تمامًا للعمل. لا ينبغي للطبيب أن يمنح تقارير مرضية بدون سبب."

نظر إليه أوركهارت بسرعة. "انتبه! سينزعج الرجال إذا رفضت منحهم شهاداتهم المرضية."

في ذلك الصباح، أدلى غادج بملاحظة للمرة الوحيدة: "ذلك لأنه لا يوجد خطأ في معظمهم!"

طوال ذلك اليوم، كان أندرو قلقاً بشأن التقارير الطبية. قرر عدم تقديم المزيد منها إلا إذا كانت ضرورية حقاً. ذهب إلى عيادته المسائية بوجهٍ قلقٍ لكنه عازم.

كان الحشد أكبر مما كان عليه في عيادة الصباح. وكان أول مريض يدخل رجلاً ضخماً بديناً، بدا وكأنه لم يعمل يوماً واحداً بجدٍّ في حياته. وكان اسمه بن تشينكين.

قال بفظاظة: "شهادة مرضية!"

سأل أندرو: "لماذا؟"

تشينكين يده قائلاً: "مرض جلدي. انظر!"

أدرك أندرو على الفور أنه لا يوجد شيء خطير في حالة تشينكين. نهض من مقعده وأمره قائلاً: "اخلع ملابسك".

تشينكين : "لماذا؟"

سأقوم بفحصك.

قام تشينكين، الذي لم يسبق أن فحصه الطبيب السابق، بخلع ملابسه.

أجرى أندرو فحصاً مطولاً. ثم قال بحدة: "ارتدِ ملابسك مرة أخرى يا تشينكين". جلس وبدأ في كتابة ملاحظة.

تشينكين بفظاظة: "كنت أظن أنك ستعطيني واحدة" .

انتزع الورقة من يد أندرو، وهرع خارج غرفة العمليات. وبعد خمس دقائق، عاد.

صرخ قائلاً: "ما معنى هذا؟" وهو يدفع الورقة في وجه أندرو.

وجاء في البيان: "هذا البيان يفيد بأن تشينكين يعاني من آثار الإفراط في الشرب، ولكنه لائق تماماً للعمل".

صرخ تشينكين: "أعاني من مرض جلدي! لقد كنت مصاباً به لمدة 15 عاماً!"

قال أندرو: "حسنًا، لم تفهم الأمر الآن". تجمع حشد من الناس عند الباب المفتوح. رأى أوركهارت يبدو قلقًا، وجادج بابتسامة خفيفة على وجهه.

صرخ تشينكين : "هل ستعطيني شهادة مرضية؟"

صرخ أندرو رداً على ذلك: "لا، لست كذلك. واخرج من هنا قبل أن أطردك."

بدا تشينكين وكأنه على وشك قتل أندرو. ثم استدار وغادر غرفة العمليات وهو يصرخ بالتهديدات .

فور مغادرته، دخل غادج وهو يفرك يديه فرحاً. "هل تعرف من هو؟ ابنه عضو مهم في اللجنة."

أثارت حادثة تشينكين جدلاً واسعاً. شعر البعض بالسرور لإجبار تشينكين على العمل أخيراً، لكن معظم الناس كانوا إلى جانبه.

بينما كان أندرو يجوب المدينة، يزور مرضاه، تلقى نظرات استياء كثيرة. وكان هناك ما هو أسوأ من ذلك. كان للرجال الحق في اختيار طبيبهم. كان كل رجل يعطي بطاقته الطبية للطبيب الذي يختاره؛ وإذا رغب في تغيير الطبيب، كان بإمكانه استعادة بطاقته وتسليمها لطبيب آخر. في كل ليلة من ذلك الأسبوع، كان الرجال يأتون إلى عيادة أندرو ويطلبون: " بطاقتي من فضلك يا دكتور".

كل بطاقة أعادها كانت تخفض راتبه.

حذره أوركهارت قائلاً: "انتبه يا رجل! أنا أتفهم شعورك - فأنت تريد تحسين الأمور. لكن انتبه! فكر قبل أن تتصرف."

سرعان ما واجه أندرو المزيد من المتاعب. فقد استُدعي إلى منزل توماس إيفانز، وهو عامل منجم أصيب بحروق في ذراعه اليسرى. وعندما وصل أندرو، وجد أن ممرضة المنطقة، التي كانت قد غادرت المنزل، قد وضعت الزيت على الحرق.

فحص أندرو ذراع المصاب ولاحظ أنه ما لم يغير العلاج فوراً، ستصاب الذراع بالعدوى. لذا، قام بتنظيف الحرق ومعالجته بعناية فائقة، ثم وضع ضمادة جديدة.

سأل إيفانز بقلق بعد أن انتهى: "هل سيكون كل شيء على ما يرام يا دكتور؟"

ابتسم أندرو قائلاً: "نعم، لا بأس. اتركوا هذا الأمر لي وللممرضة!"

قبل أن يغادر المنزل، كتب رسالة قصيرة إلى الممرضة يشكرها فيها على ما فعلته، ويطلب منها أن تستمر في علاجه.

في صباح اليوم التالي، عندما عاد إلى المنزل، وجد أن ضمادته قد أزيلت، وأن ذراعه قد عولجت بالزيت مرة أخرى.

كانت الممرضة تنتظره. سألته بغضب: "ما هو تفسير هذا؟"

شعر أندرو بالانزعاج، لكنه تمكن من الابتسام. "والآن، يا ممرضة، لا-"

لقد عملت هنا لمدة 20 عامًا؛ ولم يخبرني أحد من قبل بعدم استخدام الزيت على الحروق!

"اسمعي يا ممرضة،" حاول أندرو إقناعها. "هناك خطر الإصابة بالعدوى. لهذا السبب أريدك أن تجربي علاجي."

لم أسمع بهذا العلاج من قبل! الدكتور أوركهارت العجوز لا يصفه. أرفض تلقي الأوامر من رجل لم يمضِ على وجوده هنا سوى أسبوع واحد!

كان من الخطورة بمكان أن يتشاجر مع الممرضة. لكن أندرو لم يستطع المخاطرة بصحة مريضه. فقال بصوت منخفض: "إذا لم تُعطيني العلاج يا ممرضة، فسآتي كل صباح ومساء وأعطيه بنفسي".

صرخت الممرضة: "حسنًا - افعلوا! وآمل أن ينجو إيفانز من ذلك."

ثم هرعت خارج المنزل.

في صمت، اعتنى أندرو بالذراع المصابة. وعندما غادر، وعد بالعودة في تمام الساعة التاسعة من تلك الليلة.

لكن في نفس المساء، ذهبت السيدة إيفانز إلى عيادته وقالت بصوت خائف: "أنا آسفة لإزعاجك يا دكتور، ولكن هل يمكنني استعادة بطاقة زوجي من فضلك؟"

نهض أندرو دون أن ينبس ببنت شفة، وبحث عن البطاقة، ثم سلمها لها.

عندما عاد إلى المنزل بعد الجراحة، كان صامتاً للغاية. بعد العشاء، جلس بجانب كريستين، وأسند رأسه عليها، وقال بحزن: "يا عزيزتي، لقد بدأت بداية سيئة للغاية!" ثم انهمرت الدموع من عينيه.

الفصل الثالث عشر - عائلة فوغان

لقد مر أندرو بوقت عصيب للغاية. كان جميع أصدقاء تشينكين وأقاربه أعداءه، وحاولت ممرضة المنطقة إقناع مرضاه بمغادرته.

لقد تعرض لخيبة أمل مريرة أخرى: فقد رفض الدكتور ليويلين السماح له باستخدام المستشفى.

قال أندرو لزوجته باشمئزاز: "ما رأيكِ بما حدث هذا الصباح يا كريس؟ أردتُ علاج رجل في المستشفى - أول حالة لي في المستشفى - لذا اتصلتُ بلولين واستأذنته. حسنًا، جاء لولين بسيارته الفاخرة ليفحص الرجل بنفسه. كان لطيفًا للغاية. وافق على الفور على إدخال المريض إلى المستشفى. ولكن قبل أن أتمكن من شكره، أخبرني أنه سيتولى الحالة. قال إنه يعالج جميع مرضى المستشفى، و... حسنًا، ما أهمية ما قاله؟"

بدأ أندرو يشعر بالفشل . لكن في نهاية ذلك الأسبوع، استقبل زائراً. في إحدى الأمسيات، رنّ جرس الباب. كان أوين، سكرتير الجمعية.

شحب وجه أندرو. هل كانت اللجنة تنوي فصله بسبب فشله؟ هل كان سيُطرد هو وكريستين إلى الشارع؟ ثم فجأة أخرج أوين بطاقة صفراء.

قال: "أنا آسف للاتصال في هذا الوقت المتأخر يا دكتور مانسون، لكنني أريد أن أعطيك بطاقتي الطبية. أود أن تكون طبيبي."

لم يستطع أندرو الكلام تقريباً. "شكراً لك يا سيد أوين. سأكون سعيداً بإضافة اسمك إلى قائمتي."

دعت كريستين، التي كانت تقف في الردهة، أوين إلى غرفة المعيشة، حيث جلسا وتحدثا.

قال أوين مواسياً أندرو: "لا تفقد الأمل! الناس هنا ليسوا سهلين الفهم، لكنهم في الحقيقة طيبون جداً. عندما يتعرفون عليك أكثر، سيحبونك وسيتغير أسلوبهم معك."

قبل أن يتمكن أندرو من الرد، سأل أوين: "هل سمعت عن إيفانز؟ لا؟ ذلك الزيت الذي حذرت الممرضة من استخدامه، فعل بالضبط ما كنت تخشى حدوثه. لقد فقد القدرة على استخدام ذراعه، ولن يتمكن من العمل مرة أخرى."

أعرب أندرو عن حزنه. شعر بحزن شديد لأن جرحاً كان من الممكن أن يشفى بسهولة قد دمر حياة إيفانز.

بعد صمت قصير، أخبرهم أوين أنه يرى غايته في الحياة في جعل حياة عمال مناجم أبيرالاو أكثر سعادة. أراد تحسين الخدمات الطبية، وبناء مساكن أفضل، وجعل المناجم نفسها أكثر صحة وأمانًا.

في هذه المرحلة، أخبر أندرو أوين أنه يعتقد أن غبار نوع معين من الفحم يسبب أمراض الرئة. قال: "هؤلاء الرجال يعملون في غبار الفحم طوال اليوم، ويستنشقونه إلى رئاتهم. قد أكون مخطئًا في رأيي، لكنني لا أعتقد ذلك. ما يثير حماسي هو أنه لا يبدو أن أحدًا قد فكر في هذا من قبل!" وأضاف بحماس.

انحنى أوين إلى الأمام وقال: "يا إلهي، يا دكتور، هذا أمر مهم حقاً."

دار بينهما نقاش طويل. كان الوقت متأخراً عندما غادرت السكرتيرة. وبينما أغلق الباب الأمامي خلف أوين، فكر أندرو: "هذا الرجل صديقي".

انتشر خبر إعطاء السكرتير بطاقته لأندرو بسرعة، وساعد ذلك في جعل الطبيب الجديد أكثر شعبية.

في إحدى ظهيرات شهر ديسمبر، كان أندرو عائدًا إلى منزله. فرأى شابًا يقترب منه، فعرف أنه ريتشارد فوغان، مدير شركة أبيرالاو للتعدين. حاول أندرو تجنبه، لكن فوغان فاجأه بنداء ودود: "مرحبًا! أنت الرجل الذي أعاد تشينكين إلى العمل، أليس كذلك؟"

توقف أندرو.

"كنت أتمنى لو رأيت وجه تشينكين العجوز !"

لم يضحكني الأمر.

لم يكترث فوغان بهذا التعليق، وقال: "أنتم أقرب جيراننا. ستزور زوجتي جيرانكم الآن بعد أن استقررتم."

قال أندرو ببرود: "شكراً!"، ثم انصرف.

عندما وصل إلى المنزل، أخبر كريستين عن لقائهما. قال: "لماذا كان ودودًا إلى هذا الحد؟ إنه لغز بالنسبة لي! لقد رأيته يمر بجانب ليويلين في الشارع دون أن ينظر إليه حتى. ربما يأمل في إقناعي بإعادة المزيد من الرجال للعمل في مناجمه!"

قالت كريستين: "يا أندرو، لا تكن غبياً إلى هذا الحد! هذا خطؤك الكبير: أنت شديد الشك في الناس."

أنا أشك في فايغان. إنه مغرور، ولديه الكثير من المال! إنه ليس صادقاً. زوجته لا تريد أن تأتي لزيارتنا!

لكن السيدة فوغان زارت كريستين، وقد استمتعت كريستين بزيارتها. وبعد عشرة أيام، اتصلت السيدة فوغان بهما ودعتهما لتناول العشاء.

أجاب أندرو على الهاتف بنفسه. قال: "أنا آسف، أخشى أننا لا نستطيع الحضور. أعمل في العيادة حتى الساعة التاسعة مساءً كل يوم."

"لكن ليس يوم الأحد!" كان صوتها دافئًا ولطيفًا. "نتوقع حضورك للعشاء يوم الأحد القادم. مع السلامة."

عاد أندرو مسرعاً إلى كريستين قائلاً: "لقد دعانا أصدقاؤك الأثرياء إلى العشاء. لا يمكننا الذهاب!"

قالت كريستين بحزم: "اسمعني جيدًا يا أندرو مانسون! لا يجب أن تكون ساذجًا إلى هذا الحد. نحن فقراء، والجميع يعلم ذلك. لكن هذا لا يهم! عائلة فوغان غنية، لكنهم أناس طيبون وأذكياء. لماذا لا نكون ودودين معهم؟ لا تخجل من فقرك."

ذهبوا إلى عائلة فوغان يوم الأحد، واستُقبلوا بحفاوة بالغة. وكان هناك ضيفان آخران، السيد والسيدة تشاليس.

شعر أندرو، الذي لم يسبق له أن دخل منزلاً فخماً كهذا من قبل، بالحرج. على العشاء - وجبة بسيطة لكنها لذيذة - جلس بجوار السيدة فوغان،

التي حاولت بدء حديث معه بسؤاله عن رأيه في كيفية تحسين الخدمات الطبية في أبيرالاو.

قال: "حسنًا، لا أعرف..."، بينما كان الحساء ينسكب من ملعقته على مفرش المائدة. "أظن..."

لم يستطع مناقشة حتى موضوعه المفضل. نظر إلى طبقه حتى التفتت السيدة فوغان، مما أراحه، لتتحدث إلى تشاليس، الذي كان يشغل منصباً مهماً في جامعة كارديف.

كانت كريستين هادئة تمامًا. رآها أندرو تبتسم لتشاليس، وسمعها تشارك في نقاشٍ مستفيض. استغرب من طريقة جدالها مع تشاليس، فقد حاولت مرارًا إشراكه في النقاش.

"زوجي مهتم جداً بعمال مناجم الفحم، يا سيد تشاليس. إنه يجري بعض التجارب - على تنفس غبار الفحم."

قال تشاليس وهو ينظر باهتمام نحو مانسون: "أوه، نعم؟"

"أليس كذلك يا عزيزي؟" شجعته كريستين.

أجاب أندرو: "أوه، لا أعرف. الأمر ليس ذا أهمية!"

كان غاضباً من نفسه. ربما كان بإمكان هذا الرجل، تشاليس، أن يساعده!

لسبب غريب، بدأ يوجه غضبه نحو كريستين. وبينما كانا يسيران عائدين إلى المنزل في نهاية المساء، ظل صامتاً.

علقت كريستين بسعادة قائلة: "لقد قضينا وقتاً ممتعاً، أليس كذلك يا حبيبي؟"

قال أندرو بمرارة: "أوه، لقد كان وقتاً ممتعاً للغاية!"

في اليوم التالي، كان سلوكه مماثلاً. ثم في المساء، أرسلت السيدة فوغان إلى كريستين بعض الكتب والزهور - وأدى هذا العمل اللطيف إلى شجار.

صرخت كريستين: "انظري يا عزيزتي! أليست السيدة فوغان لطيفة؟"

تصلّب أندرو. "لطفٌ كبير! كتبٌ وزهورٌ من السيدة الثرية! أظنّ أنكِ تحتاجين هذه الأشياء لتساعدكِ على العيش معي! أنا مملٌّ جدًّا بالنسبة لكِ! لستُ من أولئك الأشخاص الأذكياء الذين قابلتِهم الليلة الماضية! أنا مجرّد طبيب!"

أندرو!

"هذا صحيح، أليس كذلك؟ لقد لاحظت ذلك من خلال سلوكك على العشاء الليلة الماضية. لقد سئمت مني بالفعل!"

كيف يمكنك قول مثل هذا الكلام؟

ركض أندرو خارج الغرفة، وأغلق الباب خلفه بصوت عالٍ. لمدة خمس دقائق، ظل يمشي جيئة وذهاباً في المطبخ. ثم فجأة عاد مسرعاً إلى كريستين واحتضنها.

صرخ قائلاً: "كريس، يا عزيزتي! أنا آسف. سامحيني. أنا مجرد أحمق غيور! أحبك من كل قلبي."

تشبثوا ببعضهم البعض بشدة.

الفصل الرابع عشر - محاربة النظام

انتهى الشتاء. أصبح لدى أندرو الآن اهتمام إضافي يتمثل في بحثه حول غبار الفحم، والذي بدأه بفحص كل عامل منجم مدرج في قائمته طبيًا. ساعدته كريستين بكتابة الملاحظات له. استمرت معرفتها في إبهاره.

مع ازدياد ساعات النهار، بدأت كريستين، دون علم أندرو، بإنشاء حديقة بمساعدة عامل منجم عجوز. وفي أحد الأيام، بينما كان أندرو يعبر الجسر المتهالك، وجدهما يعملان بجوار الجدول.

صرخ من فوق الجسر: "مهلاً، ماذا تفعل؟"

ردت كريستين قائلة: "انتظروا وسترون!"

لقد أنشأت حديقة صغيرة أنيقة في زاوية من الأرض الوعرة؛ وبعد بضعة أسابيع، قادت أندرو بفخر من ذراعه وأرته أول زهرة لها.

في آخر أحد من شهر مارس، وبدون سابق إنذار، قام ديني بزيارتهم. وقد سرّوا برؤيته.

قال فيليب بينما كانوا يجلسون لتناول الغداء: "لقد مات بيج. نعم، لقد توفي الرجل المسكين منذ شهر. الآنسة بيج ستتزوج صديقك ريس، مدير البنك!"

كان هناك صمتٌ بينما كانوا يفكرون في إدوارد بيج.

سأل أندرو أخيراً: "وكيف حالك يا فيليب؟"

«أوه، لا أدري! لستُ راضياً تماماً.» ابتسم ديني. «يبدو درينفي مكاناً موحشاً منذ رحيلكم. أعتقد أنني سأسافر إلى الخارج لفترة من الوقت - إن استطعتُ إيجاد وظيفة!»

صمت أندرو، حزيناً لفكرة أن هذا الطبيب الذكي يضيع حياته بهذه الطريقة.

تحدثا طوال فترة ما بعد الظهر، ثم استقل فيليب آخر قطار عائد إلى درينفي. وعندما رحل، أدرك أندرو كم افتقد صداقة فيليب. فقد تشاركا نفس الأفكار حول مهنة الطب، وعملا بنفس الهدف.

لكن الأطباء الآخرين في أبيرالاو بدوا وكأنهم بلا هدف على الإطلاق. كان أوركهارت، رغم طيبته، رجلاً مسنًا فقد اهتمامه بعمله. أما ميدلي، فكان يعاني من مشكلة سمعية خطيرة لدرجة أنه عندما كان مرضاه يخبرونه عن أمراضهم، لم يكن يسمع منهم كلمة واحدة؛ ولذلك، بدلاً من المخاطرة بإعطائهم علاجًا خاطئًا، كان دائمًا يعطيهم زجاجة من دواء غير ضار. أما أوكسبورو، فكان طبيبًا سيئًا لا عذر له: فقد كان يفتقر إلى الثقة بنفسه لدرجة أنه قبل علاج أبسط الحالات، كان يركع بجانب سرير المريض ويدعو - وفي النهاية كان عادةً ما يزيد حالته سوءًا ويضطر إلى استدعاء ليويلين! لم تكن هناك صداقة بين الأطباء: لم يكونوا يحبون بعضهم البعض على الإطلاق.

أراد أندرو تحسين العلاقات، وبدء نظام جديد يتعاون فيه الأطباء بروح ودية. كما أراد إنهاء الترتيب غير العادل المتمثل في دفع جزء من رواتبهم إلى ليويلين.

لقد ارتكب الكثير من الأخطاء بالفعل لدرجة أنه لم يجرؤ على محاولة ذلك في الوقت الحالي. ولكن بعد أسبوع أو أسبوعين، التقى بكون بولاند.

اكتشف أندرو ثقبًا في سنه، فذهب إلى طبيب أسنان الجمعية. وبينما كان يسير في الطريق المؤدي إلى منزل بولاند، سمع صوت طرق عالٍ، ورأى من خلال الباب المفتوح لمبنى خشبي رجلاً ضخمًا يُصلح سيارة بمطرقة. وفي اللحظة نفسها، لاحظه الرجل.

"مرحباً!" صاح.

أجاب أندرو: "مرحباً!"

'ماذا تريد؟'

أريد حجز موعد مع طبيب الأسنان. أنا الدكتور مانسون.

ضحك بولاند قائلاً: "أنا طبيب الأسنان! كنتُ أُجري بعض الإصلاحات على سيارتي القديمة." ثم ارتدى معطفه وقال: "تعال معي إلى العيادة، وسأعتني بسنك."

في غرفة العمليات، التي كانت قذرة تقريبًا مثل المرآب، قام كون بسد الحفرة، وهو يتحدث طوال الوقت. لم يكن قد غسل يديه. كان رجلاً لطيفًا غير مبالٍ، يستمتع بالحياة.

بعد أن حشو السن، ألقى بأدواته في وعاء من الماء ودعا أندرو لتناول الشاي.

قال: "أود أن أعرّفك على عائلتي".

زوجة بولاند وأطفاله الخمسة، وأكبرهم ماري ، يتناولون الشاي عندما دخل كون وأندرو غرفة المعيشة. كانت الغرفة أيضاً غير مرتبة؛ إذ كانت ألعاب الأطفال مبعثرة في كل مكان على الأرض.

بعد أن تم تقديمهما، قالت السيدة بولاند: "كنت أنوي زيارة السيدة مانسون، يا دكتورة. لكنني كنت مشغولة للغاية."

انفجر كون ضاحكًا بصوت عالٍ. "مشغولة! لم يكن لديها فستان مناسب لترتديه - هذا ما تقصده!" ثم التفت إلى أندرو. "نحن فقراء يا مانسون. نكسب القليل من المال، وبالطبع علينا أن نعطي جزءًا منه للزعيم الكبير!"

"من؟ من هو الرئيس الكبير؟"

"ليويلين، بالطبع! إنه يأخذ المال مني كما يأخذه منك!"

"لكن لماذا؟ أنت طبيب أسنان - لست طبيباً!"

"أوه، إنه يفحص مريضاً لي من حين لآخر."

قال أندرو بسرعة: "اسمع يا بولاند، هذا الترتيب ليس عادلاً! لماذا لا نرفض الدفع؟"

هاه؟

اقترح أندرو قائلاً: "دعونا نجتمع وننهي هذا الاتفاق مع ليويلين. ويمكننا أن نطلب من الأطباء الآخرين الانضمام إلينا أيضاً."

مدّ كون يده إلى أندرو قائلاً: "مانسون، سأدعمك. سنعمل معاً."

عاد أندرو مسرعاً إلى منزله حيث كانت كريستين.

"كريس! كريس! لقد قابلت رجلاً لطيفاً للغاية - طبيب أسنان. اسمعي يا عزيزتي، سنخوض معركة مع ليويلين!" ضحك بحماس.

في اليوم التالي، ناقش أندرو خطته مع أوين، الذي أبدى تعاطفه. ثم أقنع أوركهارت وأوكسبورو وميدلي بالحضور إلى منزله في ذلك المساء. بعد أن رتب أموره، قرر أندرو فجأةً تحذير ليويلين. تحدث إلى ليويلين في المستشفى قائلاً: "اسمع يا دكتور ليويلين، من الإنصاف أن أخبرك أننا نحن الأطباء نعترض على دفع جزء من رواتبنا لك. أنوي أن أقترح إيقاف هذه المدفوعات. سنلتقي في منزلي الليلة لمناقشة الأمر."

قبل أن يتمكن ليويلين من الرد، استدار أندرو وغادر الغرفة.

بدأ الاجتماع في تمام الساعة التاسعة.

قال أندرو: "أيها السادة! نظامنا هنا خاطئ تمامًا. نحن جميعًا أعضاء في نفس الجمعية الطبية، ولكن بدلًا من أن نتعاون، نتجادل باستمرار. والنتيجة هي أننا نُحمّل أنفسنا أعباءً إضافية ولا نستغل مهاراتنا بالشكل الأمثل. لا يوجد تنظيم في مهنتنا! يجب أن نغير نظامنا، وأن نضع خطة تُفيدنا جميعًا." توقف ليراقب وجوههم. "ويجب علينا أيضًا أن نرفض دفع أي أموال لشركة ليويلين. هذا ليس عدلًا! لقد تحدثتُ إلى أوين بشأن هذا الأمر. يقول إن هذا ليس من قواعد اللجنة، بل هو اتفاق خاص بين ليويلين وبيننا . "

"هذا صحيح"، وافق أوركهارت. "تم الاتفاق قبل تسع سنوات. كان طبيبان في العيادة الشرقية يطلبان من ليويلين فحص مرضاهما. لذا في أحد الأيام جمعنا جميعًا وقال إنه يرفض استقبال أي من حالاتنا ما لم نوافق على دفع جزء من رواتبنا له. هكذا بدأت القصة."

«لكن من واجب ليويلين، بصفته كبير الأطباء، فحص مرضانا عندما نحتاج إلى نصيحته. من المفترض أن يغطي راتبه هذا النوع من العمل. فلماذا ندفع له نحن أيضاً؟» سأل أندرو بغضب.

كون : "أوافق! أوافق!"

ثم تحدث أوكسبورو قائلاً: "تذكروا هذا: الدكتور ليويلين مستعد دائماً لتولي قضاياكم الصعبة".

نظر إليه أندرو بازدراء. "هل تريد منه أن يتولى قضاياك الصعبة؟"

أوكسبورو : "بالتأكيد، من لا يفعل ذلك؟"

صرخ أندرو: "لا أريد ذلك. أريد أن أعالجهم بنفسي. أنا-"

قاطع ميدلي قائلاً: "أوكسبورو محق. إن أهم شيء في الممارسة الطبية يا مانسون هو التخلص من الحالات الصعبة."

قال أندرو بغضب: "يا له من اقتراح!"

استمر النقاش لما يقرب من ساعة.

ثم كرر أندرو: "يجب أن نرفض الدفع. ليويلين يعلم أننا نعتزم الرفض. لقد أخبرته بذلك بعد ظهر اليوم."

صرخ الأطباء الثلاثة : "ماذا! لقد أخبرتم ليويلين!"

"بالطبع فعلت! لا بد أنه سيعرف في وقت ما. إذا وقفنا معًا بثبات، فمن المؤكد أننا سنفوز."

صرخ أوركهارت: "لم يكن لك الحق في إخباره! ليويلين يتمتع بنفوذ كبير. قد يتم طردنا!" ثم نهض واتجه نحو الباب. "أنت رجل لطيف يا مانسون، لكنك تفتقر إلى الحس السليم. ليلة سعيدة."

تبعه ميدلي وأوكسبورو، تاركين كون وأندرو وحدهما في الغرفة.

فتح أندرو بعض زجاجات الشراب، وجلسوا، محاولين التخفيف عن أنفسهم، يتناقشون حول غباء وضعف الأطباء الثلاثة الآخرين. تحدثوا مطولاً لدرجة أنهم لم يسمعوا كريستين تدخل وتذهب إلى النوم.

في صباح اليوم التالي، شعر أندرو بصداع شديد. وبينما كان يسير في الشارع لمعاينة مريض، مرّ بجانب ليويلين في سيارته. ابتسم ليويلين له.

الفصل الخامس عشر - مؤهل جديد

شعر أندرو بتعاسة شديدة. صباح يوم الأحد، بينما كان مستلقيًا في سريره، صرخ فجأة في وجه كريستين: "لا يهمني المال! إنما فكرة سداد هذه المدفوعات هي ما تغضبني. لماذا لا أستطيع نسيان الأمر؟ لماذا لا أحب ليويلين؟"

قالت كريستين: "أعتقد أنكِ تغارين من ليويلين!"

صرخ أندرو قائلاً: "ماذا! لماذا يجب أن أغار منه؟"

لأنه بارع جداً في عمله، و - حسناً، لأنه طبيب مؤهل أكثر منك.

«يا إلهي! الآن عرفتُ ما تفكر فيه حقًا بشأني!» قفز من السرير وبدأ يتجول في الغرفة. «ما أهمية المؤهلات؟»

حسناً يا عزيزتي، أنتِ لا تريدين البقاء هنا طوال حياتك، أليس كذلك؟ لو كنتِ تحملين شهادة جيدة، لكان ذلك سيساعدكِ في الحصول على وظيفة أفضل.

استدار أندرو فجأة. "كريس، أنت محق!" فكر للحظة. "لكن لا - هذا غير ممكن! للحصول على شهادة جامعية، يجب أن أتعلم بعض اللغات الأجنبية."

ركضت كريستين نحوه وقبلته. "لن تحتاج إلا إلى القليل من المعرفة باللغات. ويمكنني مساعدتك. تذكر: زوجتك كانت معلمة في السابق!"

كانوا يخططون بحماس طوال اليوم، وفي ذلك المساء أعطت كريستين أندرو دروسه الأولى. كانت تساعده كل مساء. كان أندرو يدرس حتى وقت متأخر من كل ليلة، لدرجة أنه عندما يخلد إلى النوم كان غالبًا ما يكون متعبًا جدًا لدرجة أنه لا يستطيع النوم. فقد وزنه وأصبح وجهه أنحف. لكن كريس كانت دائمًا موجودة لتواسيه وتشجعه.

بحلول شهر أغسطس، الذي كان شهراً شديد الحرارة، كان أندرو مستعداً للقيام ببعض الأعمال العملية في مجال الطب. لكن هذا الأمر طرح صعوبة أخرى: من أين سيحصل على هذه الخبرة؟ كانت كريستين هي من فكرت في تشاليس ومنصبه المهم في جامعة كارديف. عندما راسله أندرو، وافق تشاليس على الفور على السماح له بالعمل في الجامعة.

قال أندرو: "كنت محقاً تماماً يا كريس! من الجميل أن يكون لديك أصدقاء. ولم أكن أرغب في الذهاب إلى منزل عائلة فوغان في تلك الليلة عندما التقينا تشاليس!"

اشترى أندرو دراجة نارية قديمة. كانت هناك ثلاث ساعات بعد الظهر لا يكون فيها أندرو في الخدمة. لذا في تلك الأيام، بعد الغداء، كان يقطع مسافة ٥٠ كيلومترًا إلى كارديف، ويعمل في الجامعة لمدة ساعة، ثم يعود أدراجه. العمل والرحلة الطويلة في الحر الشديد أرهقاه لدرجة أنه كاد يمرض.

أخيرًا، أتمَّ دراسة جميع المواد التي سيُختبر فيها. سافر وحيدًا إلى لندن ليخوض امتحان شهادته. الآن وقد اقترب الموعد، شعر أندرو أنه لا يعرف

شيئًا. لكن عندما بدأ امتحانه، انكبّ على الكتابة دون أن ينظر إلى الساعة.

في اليوم الثاني، خضع أندرو لاختبار عملي في الطب من قبل طبيبين بالتناوب. وجد أندرو نفسه يخشى هذا الاختبار أكثر مما كان يخشى الاختبارات الكتابية. نظر إليه ممتحنه الأول، الدكتور غادسبي، ببرود، ثم طرح عليه ستة أسئلة. أجاب أندرو على خمسة منها إجابة صحيحة، لكنه لم يستطع الإجابة على السؤال السادس. وبدا أن غادسبي قد نفد صبره، فكرر السؤال عدة مرات. ثم، دون أن ينبس ببنت شفة، أحاله إلى الممتحن الثاني، السير روبرت آبي.

عبر أندرو الغرفة بوجه شاحب. كان متأكداً من أنه قد فشل بالفعل. رفع عينيه، فرأى روبرت آبي يبتسم له.

سألت آبي: "ما الأمر؟"

أجاب أندرو ببطء: "لا شيء يا سيدي. لا أعتقد أن الدكتور غادسبي كان راضياً جداً عن إجاباتي - هذا كل شيء."

"لا تقلق"، طمأنه آبي. مع أن آبي أصبح الآن أحد أشهر الأطباء في أوروبا، إلا أنه تذكر معاناته المبكرة، ولذلك شعر بتعاطف كبير مع أندرو.

بدأ يوجه أسئلة إلى أندرو بأسلوب ودود. كانت أسئلته بسيطة في البداية، ثم أصبحت أكثر صعوبة تدريجياً. لكن أندرو، الذي تشجع بأسلوب آبي اللطيف، أجاب بشكل جيد.

ثم سأله آبي سؤالاً حول حالة تصيب الجسم تسمى "تمدد الأوعية الدموية".

هل تعرف تاريخ تمدد الأوعية الدموية؟

أجاب أندرو: "يُفترض أن باريه كان أول رجل اكتشف هذه الحالة".

بدت الدهشة واضحة على وجه آبي. "لماذا تقول "مفترض" يا دكتور مانسون؟ لقد اكتشف باريه تمدد الأوعية الدموية."

احمرّ وجه أندرو. "حسنًا يا سيدي، تقول الكتب الطبية ذلك. لكنني لا أعتقد أنها صحيحة. عندما كنت أدرس للحصول على شهادتي، قرأت وصفًا مطولًا لتمدد الأوعية الدموية في كتاب كُتب قبل 1300 عام من حياة بار!"

نظرت آبي إلى أندرو بتعبير غريب.

قال: "دكتور مانسون، أنت أول شخص في امتحان يخبرني بشيء لم أكن أعرفه. أحسنت!"

احمر وجه أندرو مرة أخرى.

واختتمت آبي حديثها قائلة: "والآن أجب عن سؤال واحد أخير فقط. ما هي القاعدة التي تعتبرها الأهم للطبيب؟"ـ

فكر أندرو للحظة. "أظن أنه لا ينبغي تصديق أي شيء حتى يتم إثباته."

شكراً لك يا دكتور مانسون.

وأخيراً انتهى الأمر. في الساعة الرابعة بعد الظهر، جاءت إليه آبي مبتسمة، وأخبرته أنه قد رحل.

لقد فعلها! لقد حصل على شهادته! ركض إلى أقرب مكتب بريد وأرسل رسالة تحمل الأخبار الرائعة إلى كريستين.

الفصل السادس عشر - حادث في المنجم

عندما وصل قطاره إلى أبيرالاو، كانت الساعة تقارب منتصف الليل. وبينما كان أندرو يسير عائداً إلى منزله، ركض إليه عامل منجم يُدعى فرانك ديفيس وهو يصيح: "يا دكتور، أنت مطلوب!"

صرخ أندرو: "ما الخطب؟"ـ

"وقع حادث في المنجم. رجل يكاد يُدفن تحت الفحم. إنه سام بيفان - أحد مرضاك. تعال بسرعة يا دكتور."

قال أندرو: "سأحتاج حقيبتي. اذهب إلى منزلي وأحضرها. سأذهب مباشرة إلى المنجم."

وصل أندرو إلى المنجم في غضون أربع دقائق. وكان المدير وثلاثة رجال ينتظرونه.

قال المدير: "إنه حادث مروع. لم يمت أحد، لكن أحد الرجال محاصر. لا نستطيع تحريكه! وهناك خطر من سقوط المزيد من الفحم."

في تلك اللحظة، ركض ديفيس نحوهم حاملاً حقيبته. وبدون تأخير، بدأت المجموعة الصغيرة بالنزول ببطء إلى المنجم العميق والخطير. كان الممر

المؤدي إلى المنجم ضيقًا للغاية لدرجة أن أندرو والرجال الأربعة الآخرين اضطروا إلى الزحف على أيديهم وركبهم لمسافة كيلومتر تقريبًا. وأخيرًا، وصلوا إلى موقع الحادث.

"هذا هو الطبيب. ابتعدوا، وأعطوه مساحة للتحرك"، هكذا أمر المدير الرجال الثلاثة الذين كانوا يحاولون إخراج بيفان.

تراجعوا للخلف، وزحف أندرو للأمام.

حاول بيفان أن يبتسم لمانسون. "حسنًا، أنا أمنحك فرصة جيدة لاختبار مهارتك!"

على ضوء مصباح المدير، فحص أندرو الرجل المحاصر. كان جسد بيفان كله حراً باستثناء ذراعه اليسرى، التي كانت مدفونة تحت كومة ثقيلة من الفحم ومتضررة بشدة. أدرك أندرو على الفور أن السبيل الوحيد لتحرير بيفان هو قطع ذراعه.

قرأ بيفان قرار أندرو على وجهه. قال بشجاعة: "هيا يا دكتور، اقطعه - أستطيع تحمله. فقط أخرجني من هنا بأسرع ما يمكن!"

قال أندرو: "لا تقلق يا سام، سأجعلك تنام الآن. عندما تستيقظ، ستكون في سريرك."

ركع أندرو في بركة ماء، وخلع معطفه ووضعه تحت رأس بيفان. ثم فتح حقيبته، لكنه صُدم عندما اكتشف أن الزجاجة التي يحتاجها مكسورة! لم يستطع أن يُنيم بيفان. ارتجف أندرو. لثلاثين ثانية تقريبًا، لم يستطع أن يقرر ماذا يفعل. ثم أخرج بسرعة زجاجة أخرى وأعطى بيفان مسكنًا للألم.

قال: "أغمض عينيك يا سام!"

عندما انغرزت السكين في جسده، أطلق بيفان صرخة ألم مدوية. ثم صرخ مرة أخرى. وعندما لامست السكين العظم، فقد وعيه.

لم يستطع أندرو رؤية ما يفعله في تلك الحفرة العميقة تحت الأرض. لم يسبق له أن عمل في مثل هذه الظروف الصعبة. لن يتمكن أبدًا من قطع العظم! في أي لحظة سينهار الفحم عليهم ويقتلهم جميعًا! يا إلهي، هل سينتهي الأمر أبدًا؟

في النهاية، كاد يبكي من شدة الارتياح. وضع ضمادة على الجرح، ورفع نفسه على ركبتيه، وقال: "أخرجوه".

على بُعد خمسة وأربعين متراً، وفي مساحة أكبر للحركة، وتحت أربعة مصابيح تحيط به، عالج الجرح بدقة أكبر. انتهى!

أمر أندرو عمال المناجم قائلاً: "لفوه جيداً".

حملوا بيفان ببطء ولطف خارج المنجم. وبعد أن قطعوا مسافة 55 متراً تقريباً بصعوبة، سمعوا دويّاً عالياً لسقوط قطع الفحم في الظلام خلفهم. قال المدير لأندرو: "هذا هو!"

استغرق وصولهم إلى السطح قرابة ساعة. هناك وجدوا حشدًا من النساء ينتظرن بقلق. فجأة، سمع أندرو صوتًا ينادي اسمه بيأس. وفي اللحظة التالية، ألقت كريستين ذراعيها حول عنقه وهي تبكي بصوت عالٍ.

سأل أندرو بدهشة: "ما الأمر؟"

وهي تتمسك به كما لو كانت امرأة تغرق، قالت: "لقد أخبرونا أن الفحم قد سقط عليك - وأنك لن تخرج حياً، ولن تستطيع !"

الفصل السابع عشر - عيد الميلاد

أدى إنقاذ سام بيفان إلى زيادة شعبية أندرو بشكل كبير. تلقى ابتسامات من أشخاص لم يلتفتوا إليه من قبل. وبدأت بطاقات التأمين الصحي تعود إليه.

كان أوين سعيداً للغاية، وقال: "ألم أقل لك إن هذا سيحدث؟"ـ

ساهمت شهادة أندرو الجديدة في تحسين مكانته في المدينة. لم يكن ديني، المقيم حاليًا في الخارج، على علم بنجاحه بعد. لكن فريدي هامسون كتب إلى أندرو معربًا عن سعادته البالغة.

قال أندرو لكريستين: "من المؤسف أننا لا نرى فريدي هذه الأيام. ألم يكتب رسالة لطيفة؟"

أجابت كريستين: "نعم، جميل جداً - لكن معظمه يدور حول نفسه!"

مرت الأسابيع القليلة التالية بسعادة بالغة. وفي مساء اليوم السابق لعيد الميلاد، عاد أندرو إلى المنزل من العملية الجراحية بشعور لطيف من السلام والطمأنينة. وما إن دخل المنزل حتى رأى أن كريستين تشعر بالمثل.

قالت وهي تمد يدها: "أغمض عينيك وتعال معي!"

أخذته إلى المطبخ، حيث كانت هناك على الطاولة عدة طرود، كل منها مصحوب بملاحظة صغيرة. أدرك أندرو على الفور أن هذه هدايا من مرضاه.

صرخت كريستين: "انظر يا أندرو! دجاجة وبطتان! وكعكة لذيذة! وزجاجة نبيذ! أليس هذا لطفاً منهم؟ أليس من الجميل أنهم يريدون أن يقدموا لك هذه الهدايا؟"

للحظة، لم يستطع الكلام. لقد أثرت فيه بشدة هذه الإشارة الكريمة التي تدل على أن أهل أبيرالاو قد بدأوا يحبونه.

قال وهو يتجول جيئة وذهاباً في المطبخ: "هكذا يجب أن يدفع الفقراء لأطبائهم يا كريس. لا مال، لا فواتير! إذا كان المريض فقيراً، فليعطِ الطبيب ما يستطيع دفعه. لو توقف كل طبيب عن التفكير في مقدار المال الذي يمكنه كسبه، لكان النظام بأكمله أفضل."

'نعم عزيزتي.'

في صباح اليوم التالي، يوم عيد الميلاد، كان الجو صافيًا ومشرقًا. بعد الإفطار، خرج أندرو لزيارة مرضاه. كانت وجبات العشاء تُحضّر في جميع البيوت الصغيرة، وكان هو يُحضّرها في منزله. في كل شارع، كان الناس ينادون:

عيد ميلاد سعيد يا دكتور!

سلوكهم المبهج، المختلف تماماً عن سلوكهم قبل عام، أسعد أندرو كثيراً.

باستثناء تشينكين، الذي لم يكن يرغب في استقباله، كان توم إيفانز المريض الوحيد الذي لم يعد إليه. قرر أندرو فجأة زيارة إيفانز وتهنئته بعيد الميلاد. بعد أن طرق الباب مرة واحدة، فتح الباب الأمامي ودخل مباشرة إلى المطبخ. هناك، صُدم. كان المطبخ شبه خالٍ؛ وكان إيفانز جالسًا على كرسي مكسور أمام موقد بائس لا يُدفئ. وعلى ركبتيه كانت تجلس ابنته الصغيرة، ذات الأربع سنوات.

فجأةً استدار إيفانز ورأى أندرو. ارتسمت على وجهه ملامح الخجل والغضب. أدرك أندرو أن إيفانز يشعر بالخجل من أن يجده الطبيب في تلك الحالة بعد أن رفض نصيحته. شعر أندرو بالحزن والحرج، وتمنى لو يستدير ويرحل. لكن في تلك اللحظة، دخلت السيدة إيفانز المطبخ.

لقد فوجئت كثيراً برؤية أندرو لدرجة أنها صرخت قائلة: "ما الأمر يا سيدي؟ لم يفعل أي شيء خاطئ، أليس كذلك؟"

أجاب أندرو وهو ينظر إلى الأرض: "سيدتي إيفانز، أود أن نكون أصدقاء. إنه عيد الميلاد، و- حسنًا، سأكون سعيدًا جدًا إذا أتيتم أنتم الثلاثة وساعدتمونا في تناول عشاء عيد الميلاد."

"لكن يا دكتور-" بدأت حديثها.

قاطعها إيفانز بغضب: "اصمتي! لا نريد مساعدة من أحد!"

قال أندرو: "ماذا تقصد؟ أنا أدعوك كصديق".

صرخ إيفانز قائلاً: "تناولوا عشاء عيد الميلاد بأنفسكم! لا نريده."

التفت أندرو إلى السيدة إيفانز وقال: "أقنعيه يا سيدتي إيفانز. سأكون آسفاً حقاً إذا لم تأتي. سننتظرك في تمام الساعة الواحدة والنصف."

قبل أن يتمكن أي منهما من الرد، غادر المنزل.

وصلت عائلة إيفانز، وقد غسلوا أسنانهم ونظفوها، وبدا عليهم الانزعاج الشديد. في البداية، بدا وكأن عشاء عيد الميلاد سيكون فاشلاً. ولكن لحسن الحظ، سكب أندرو حساءه عن طريق الخطأ على الطاولة. ساد الصمت للحظات. ثم انفجرت الطفلة الصغيرة ضاحكة. وفي اللحظة التالية، انضم إليهم الجميع في الضحك.

بعد تناول الطعام، اصطحبت كريستين السيدة إيفانز والطفل إلى غرفة المعيشة، تاركةً أندرو بمفرده مع إيفانز. جلس الرجلان في صمت لبعض الوقت. ثم قال أندرو: "أنا آسف بشأن ذراعك يا توم".

أجاب إيفانز: "أنت لست نادماً بقدر ما أنا نادم".

ساد صمتٌ لبرهة. ثم تابع أندرو قائلاً: "هل تسمح لي بالتحدث إلى السيد فوغان بشأنك؟ لديّ بعض النفوذ لديه، وأنا متأكد من أنني أستطيع إقناعه بإيجاد عمل أسهل لك."

لم يُجب إيفانز. لم ينطق بكلمة. كان يبكي؛ وكان جسده كله يرتجف.

في تمام الساعة الثالثة والنصف، غادرت عائلة إيفانز ودخلت كريستين وأندرو إلى غرفة المعيشة.

قال أندرو: "أتعلم يا كريس، لقد فقد ذلك الرجل المسكين القدرة على استخدام ذراعه بسبب أوكسبورو. إنه هو المذنب! عندما تركني إيفانز،

ذهب إلى أوكسبورو الذي عالجه بشكل خاطئ. أوكسبورو لا يعرف شيئًا - لا شيء! يجب أن يكون هناك قانون لـ..."

"أندرو، عزيزي! توقف عن الحديث عن عملك. أريد أن أخبرك بشيء مهم!"

'نعم؟'

ضحكت في صمت. "تعال إلى هنا."

جلس على الكرسي بجانبها. "حسناً؟ ما هذه الأخبار الرائعة؟"

أطلقت ضحكة خفيفة أخرى. "أندرو - سأنجب طفلاً."

طفل؟ حقاً؟ تقصد...

"نعم. لقد كنت أحاول إخبارك طوال اليوم."

الفصل الثامن عشر - الجسر المتعفن

حلّ الربيع من جديد. كانت الحديقة زاهية بالأزهار التي زرعتها كريستين في الخريف. الآن، لن يسمح لها أندرو بالقيام بأي عمل آخر. أمرها قائلاً: "لقد صنعتِ الحديقة. اجلسي فيها الآن".

انتاب أندرو شعور بالحماس لفكرة أن يصبح أباً، فقرر فجأة أن يطلب من الدكتور ليويلين أن يحضر ولادة طفل زوجته.

بدا ليويلين مسروراً عندما اتصل به أندرو. قال: "يسعدني مساعدتك يا مانسون. لم أظن أنك تحبني بما يكفي لتطلب مني القيام بذلك. أعدك ببذل قصارى جهدي. في الوقت الحالي، أعتقد أن من الجيد أن تأخذ زوجتك إجازة قصيرة."

بناءً على نصيحة ليويلين، ذهبت كريستين للإقامة مع خالتها. اشتاق إليها أندرو أكثر مما كان يتوقع. أمضى أمسية أو اثنتين مع عائلة بولاند وعائلة فوغان، لكنه في معظم الأمسيات واصل بحثه عن غبار الفحم.

لقد اكتشف شيئاً أثار حماسه بشدة. وبينما كان يقف أمام النار الخافتة، بعد منتصف الليل بوقت طويل، أمسك فجأة بصورة كريستين وصاح قائلاً: "كريس! أعتقد أنني سأفعل شيئاً مهماً!"

عادت كريستين في نهاية شهر يونيو. قالت وهي تعانقه: "يا له من شعور رائع أن أعود إلى المنزل!". ثم، عندما نظرت إلى وجهه، تغيرت ملامحها.

"أندرو، عزيزي، تبدو متعبًا! لا أعتقد أنك تتناول طعامًا كافيًا." كانت قلقة عليه.

أخبرها أندرو عن التطورات التي طرأت على بحثه.

سألت: "كم من الوقت سيستغرق هذا؟"

لا أعرف. قد يستغرق الأمر سنة، أو قد يستغرق خمس سنوات!

حسنًا، في هذه الحالة، سيتعين عليك العمل وفق نظام محدد - الالتزام بساعات عمل منتظمة، وعدم السهر لوقت متأخر جدًا، مما قد يؤدي إلى إرهاق نفسك!

"لا يوجد بي أي شيء."

لكن كريستين كانت حازمة. ففي كل مساء، بينما كان أندرو يعمل، كانت تجلس في غرفة عمله تقرأ. ثم، في الساعة الحادية عشرة، كانت تنهض من كرسيها وتقول: "حان وقت النوم!"

"أوه - ليس بعد! اصعد أنت يا كريس! سأتبعك بعد دقيقة."

"أندرو مانسون، إذا كنت تعتقد أنني سأنام وحدي في حالتي الصحية-"

كانت تلك الكلمات الأخيرة، وهي عبارة عن مزحة حول الطفل الذي كانت تنتظره، تنهي الجدال دائماً. ثم يضحك، ويتمدد، ويضع مجهره جانباً.

مع اقتراب نهاية شهر يوليو، انشغل أندرو بشكل خاص في عيادته. وفي أحد الأيام، بينما كان يسير في الطريق يشعر بتعب شديد، رأى سيارة الدكتور ليويلين أمام بوابته. ظنّ أن الطفل ربما وُلد قبل موعده، فهرع إلى المنزل، ودخل مسرعًا، وقال بلهفة: "مرحبًا، ليويلين. لم أتوقع رؤيتك هنا بهذه السرعة."

أجاب ليويلين: "لا".

ابتسم أندرو. "حسنًا؟"

لم يبتسم ليويلين. قال: "لقد كنت أحاول العثور عليك طوال الصباح".

هل هناك خطب ما؟

نظر ليويلين من النافذة نحو الجسر القديم في الحديقة. قال بلطف: "مانسون، هذا الصباح، بينما كانت زوجتك تعبر ذلك الجسر، انكسرت

قطعة من الخشب. سقطت. هي بخير - بخير تمامًا. لكنني أخشى أن يكون الطفل..."

أدرك أندرو ذلك حتى قبل أن ينهي ليويلين كلامه.

وتابع ليويلين بصوت مليء بالتعاطف العميق: "لقد فعلنا كل ما في وسعنا. لقد جئت على الفور، وأحضرت ممرضة من المستشفى. لقد بقينا هنا طوال اليوم."

ساد الصمت. غطى أندرو عينيه بيديه وبكى في نفسه.

"لا أحد يتحمل اللوم. لقد كان حادثًا"، حاول ليويلين مواساته. "اصعد الآن إلى الطابق العلوي وانظر إلى زوجتك".

أنزل أندرو رأسه وصعد إلى الطابق العلوي. توقف أمام باب غرفة النوم، وهو يلهث بشدة. ثم دخل إلى الداخل.

الفصل التاسع عشر - التجارب

بحلول عام ١٩٢٧، كانت الآراء حول الدكتور مانسون متباينة في أبيرالاو. لم تكن عيادته كبيرة، لكن جميع مرضاه كانوا يثقون به ثقةً تامة. نادرًا ما كان يصف الأدوية، ولكن عندما كان يفعل، كان يصف أحدث وأفضل الأدوية، وغالبًا ما كانت أغلى الأدوية في السوق. وبفضل استخدامه للأدوية الحديثة، تمكن مانسون ذات مرة من منع انتشار مرض خطير في المدينة، على الرغم من أن بقية المنطقة عانت بشدة.

كان ينبغي للجنة الجمعية الطبية أن تكون ممتنة لمانسون؛ لكن بعض أعضائها، بقيادة تشينكين، كانوا يحسدونه على نجاحه. ورغم أن لمانسون العديد من الأصدقاء، إلا أنه كان له أعداء أيضاً.

كان أندرو يتساءل أحيانًا عن سبب بقائه هو وكريستين في أبيرالاو بعد وفاة طفلهما. كان بحثه عن غبار الفحم هو السبب الوحيد لبقائه: لم يكن بإمكانه مغادرة المناجم حتى يُنهي بحثه.

أصبح لديه الآن كمٌّ هائل من المعلومات المهمة حول تأثير غبار الفحم على رئتي عمال المناجم. ولكن، لإثبات صحة معلوماته، قرر إجراء بعض التجارب على حيوانات صغيرة لدراسة تأثير الغبار على رئتيها. وهنا بدأت معاناته الحقيقية. حرص أندرو على إلحاق أقل قدر ممكن من الألم بالحيوانات، وأجرى بعض التجارب الناجحة للغاية، والتي أثبتت صحة جميع معتقداته. شعر بالفخر والحماس. ولكن بعد بضعة أيام، تلقى صدمة.

عندما عاد أندرو إلى المنزل من العمل، وجد كريستين تبدو قلقة. فسألها: "ما الأمر؟"

نظرت إليه بحزن وقالت: "لقد زارني بعض الأشخاص اليوم".

أوه؟ من كانوا؟

خمسة أعضاء من اللجنة، بمن فيهم تشينكين. كانوا قد سمعوا عن تجاربك على الحيوانات، وأرادوا رؤية غرفة عملك. أخبرتهم أنك لست في المنزل، لكنهم دفعوني جانبًا واندفعوا إلى غرفتك. عندما رأوا ما بداخلها، صرخ أحدهم: "يا إلهي، مساكين الحيوانات!" حاولت أن أخبرهم أنها لم تتألم، لكنهم رفضوا الاستماع. وضعوا الحيوانات في كيس وأخذوها بعيدًا.

صرخ أندرو: "ماذا!". فكّر للحظة، ثم ذهب إلى الردهة ليستخدم الهاتف. ولكن، ما إن وصل إليه حتى رنّ جرس الهاتف. قال بغضب: "مرحباً!". ثم تغيّر صوته. كان أوين. "انظر هنا يا أوين-"

قاطع أوين قائلاً: "أعلم، أعلم. هذا عمل سيء. سآتي لرؤيتك الآن."

جاء أوين. وقبل أن يتمكن أندرو من الكلام، قال: "هل حصلت على إذن؟"

نظر إليه أندرو بدهشة. "إذن لأي شيء؟"

"لإجراء تجارب على الحيوانات."

لا، يا إلهي! لم أفكر في الأمر أبداً!

قال أوين: "أخشى أن تحدث مشكلة. بعض أعضاء اللجنة يشعرون بمرارة شديدة تجاهك. لكن لا تقلق: كل شيء سيكون على ما يرام في النهاية."

غادر أوين. وفي الليلة التالية، تلقى أندرو رسالة تأمره بحضور جلسة تحقيق ستعقدها اللجنة بعد أسبوع.

أثار نبأ إجراء تحقيق جدلاً واسعاً في أبيرالاو. ونشبت مشاجرات بين أصدقاء أندرو وأعدائه. وشعر أندرو نفسه بالتعب والغضب والقلق.

بعد ظهر يوم الأحد، مثل أمام اللجنة. كان حشد كبير ينتظر في الشارع عندما دخل أندرو المكاتب وصعد الدرج الضيق إلى قاعة اللجنة، التي كانت مكتظة بالناس أيضاً.

بدأ التحقيق بخطاب غاضب ألقاه تشينكين، الذي صرخ بأن أندرو قد خالف القانون بإجراء تجارب على الحيوانات دون إذن، وأنه يجب الإبلاغ عنه بسبب هذه الجريمة.

وهنا قاطع أوين قائلاً: "يجب أن أحذر اللجنة من أنه إذا أبلغنا عن الدكتور مانسون بسبب هذا الأمر، فقد تواجه اللجنة بأكملها مشكلة".

سأل تشينكين : "ماذا تقصد؟"

وأوضح أوين قائلاً: "بما أن الدكتور مانسون يعمل لدينا، فنحن مسؤولون قانوناً عن أفعاله!"

وسمعنا صيحات تقول: " أوين محق! لا نريد أي مشاكل!"

صرخ تشينكين: "لا داعي للقلق بشأن الإذن إذن! فهناك العديد من الشكاوى الأخرى ضده."

"أجل! أجل!" صاح أحدهم من الخلف. "أتذكرون كل تلك الأمسيات التي أهدرها وهو يتجول على دراجته النارية!"

"لن يعطي أدوية!" جاء صوت آخر.

صرخ تشينكين قائلاً: "كل هذه الشكاوى تثبت أن الدكتور مانسون قد خدمنا بشكل سيئ. نطالبه بالتخلي عن وظيفته."

تشينكين حوله إلى أصدقائه وجلس وسط هتافات عالية.

قال أوين: "ربما ستسمح الآن للدكتور مانسون بالتحدث"، ثم التفت إلى أندرو.

ساد الصمت. جلس أندرو ساكناً للحظة. كان الوضع أسوأ مما توقع. نهض واقفاً.

لم يكن خطيبًا مفوهًا، لكنه كان غاضبًا الآن. بدأ حديثه قائلًا: "ما كنت أفعله لم يكن قسوة. لماذا تأخذون الفئران والطيور إلى المناجم؟ لتتأكدوا من وجود الغاز! عندما تموت هذه الفئران والطيور بسبب الغاز، هل تسمّون ذلك قسوة؟ كلا، بالطبع لا! أنتم تدركون أن هذه التجارب على الحيوانات تنقذ أرواح الرجال - أرواحكم أنتم. حسنًا، هذا ما كنت أحاول فعله من أجلكم! لمدة ثلاث سنوات، أجريتُ أبحاثًا حول الأمراض التي تُصابون بها من غبار المناجم. لقد توصلتُ إلى اكتشاف قد يُحسّن ظروف عملكم - اكتشاف سيُحافظ على صحتكم بشكل أفضل من أي دواء! أنتم لا تُصدقونني! تظنون أنني أكذب عليكم! لكن هذا سيُريكم رأي الآخرين في تجاربي - الأشخاص القادرين على الحكم."

أخرج رسالة من جيبه وسلمها لأوين. كانت الرسالة من جامعة في اسكتلندا، تعرض عليه شهادة طبية أخرى تقديراً لاكتشافاته المهمة المتعلقة بغبار الفحم.

قرأ أوين الرسالة، وابتسم فجأةً بارتياح، ثم مررها بين أعضاء اللجنة. وبعد بضع ملاحظات أخرى، قال: "ربما تغادرنا الآن يا دكتور، من فضلك."

عندما عاد أندرو إلى غرفة اللجنة، بدا الجميع، باستثناء تشينكين، أكثر وداً .

وقف أوين وقال: "يسعدني أن أخبرك يا دكتور مانسون أن اللجنة قررت أن تطلب منك البقاء".

لقد فاز! لكن انتصاره لم يُرضِ أندرو. توقعت اللجنة أن يكون سعيدًا. لكنه قال بدلًا من ذلك: "شكرًا لك يا سيد أوين. يسعدني أن اللجنة ترغب في بقائي، لكنني أخشى أنني لا أستطيع ذلك. أُبلغ اللجنة بقراري قبل شهر من اليوم. " تحدث بلا مشاعر، ثم خرج من الغرفة.

ساد الصمت. ثم صاح تشينكين : "لن يكون خسارة!"

فقد أوين أعصابه الآن. صرخ قائلاً: "اصمت يا تشينكين، لقد فقدنا أفضل رجل عرفناه على الإطلاق."

الفصل العشرون - عرض عمل

استيقظ أندرو في منتصف تلك الليلة، وهو يصيح: "هل أنا أحمق يا كريس؟"

طمأنته في الظلام قائلة: "لا، لا نريد البقاء في ويلز لبقية حياتنا يا عزيزي. لقد كنا سعداء هنا، ولكن حان الوقت لننتقل."

لكن يا كريس، لا نستطيع شراء عيادة طبية الآن. يجب أن نوفر المزيد من المال قبل أن نغادر من هنا.

أجابت بصوت نعسان: "ما أهمية المال؟"

منحته ثقتها بنفسه الشجاعة. وفي صباح اليوم التالي، بدا العالم مكانًا مشرقًا. لم يعد هناك داعٍ للقلق بشأن المخاطرة التي كان يُقدم عليها! فقد حصل الآن على شهادة جامعية، ولديه أكثر من ثلاثمائة جنيه إسترليني في حسابه البنكي. لن يعانوا من الجوع أبدًا.

بعد أن قرر الرحيل، تمنى الجميع بقاءه. وبعد أسبوع من التحقيق، زار أوين واثنان أو ثلاثة من أعضاء اللجنة منزله وطلبوا من أندرو تغيير رأيه، لكنه رفض.

نُشرت تقارير عن اكتشافاته لغبار الفحم مؤخراً في عدد من المجلات الطبية في إنجلترا وأمريكا. وبعد بضعة أيام، ونتيجةً لهذه التقارير، تلقى أندرو عدة رسائل.

كانت إحدى الرسائل من تشاليس، الذي طلب من أندرو زيارته في ذلك الأسبوع. فقد أندرو الرسالة ونسي الرد عليها. أما الرسالة الأخرى فقد أثارت اهتمامه أكثر.

قال لها: "هذا يسعدني يا كريس! إنها من أمريكي اسمه ستيلمان".

سألت: "نعم؟ هل هو طبيب؟"ـ

لا، ليس حقاً. إنه يدير مستشفى صغيراً في أمريكا، حيث يعالج مرضى الرئة. يرفض الأطباء الاعتراف به. لكن ستيلمان رجلٌ طيب، بارعٌ جداً في عمله. سأخبرك عنه لاحقاً.

جلس ورد على ستيلمان على الفور.

ولأنه ما زال يتجاهل الرد على تشاليس، تلقى أندرو رسالة ثانية منه بعد فترة وجيزة. جاء في هذه الرسالة أن مجلس الفحم والمناجم، بعد اطلاعه على تجاربه المتعلقة بغبار الفحم، يرغب في أن يكون أندرو مسؤولهم الطبي.

عندما قرأت كريستين الرسالة، قالت بسعادة: "ألم أخبرك أن شيئًا كهذا سيحدث؟ أليس هذا جيدًا؟"

"نعم، جميل!"

ذهب أندرو مباشرة إلى مكتب البريد وأرسل رسالة إلى تشاليس يقبل فيها العرض.

الفصل الحادي والعشرون - مجلس الفحم والمناجم

كانت مكاتب مجلس الفحم والمناجم تقع في مبنى حجري كبير في وسط لندن. وفي صباح مشرق من شهر أغسطس، صعد أندرو درجات هذا المبنى وهو في غاية السعادة.

قال للرجل الواقف عند الباب: "أنا المسؤول الطبي الجديد".

قال الرجل: "نعم سيدي، السيد جيل ينتظرك. جونز! خذ طبيبنا الجديد إلى غرفة السيد جيل."

تم اقتياد أندرو إلى غرفة كبيرة مشمسة حيث صافحه السيد جيل، وهو رجل صغير بشوش، وقال: "تفضل بالجلوس. هل ترغب في تناول كوب من الشاي؟"ـ

وبينما كانا يحتسيان الشاي، أدلى جيل ببعض الملاحظات حول الطقس. ثم اصطحب أندرو إلى غرفته، التي كانت مشمسة أيضاً وتطل على النهر. قال جيل مبتسماً: "أتمنى أن تعجبك هذه الغرفة".

"أوه، نعم - إنها غرفة جميلة!"

"الآن سأقدم لك سكرتيرتك - الآنسة ماسون." أخذته جيل إلى الغرفة المجاورة، حيث كانت الآنسة ماسون، وهي شابة ودودة، تجلس على مكتب صغير.

"آنسة ماسون، هذا الدكتور مانسون."

صباح الخير يا دكتور مانسون.

دار بينهما حديث قصير، ثم عاد أندرو إلى غرفته، حيث علقت جيل قائلة: "سأرسل لك بعض التقارير لتقرأها".

وصلت كومة من التقارير. قرأ أندرو هذه التقارير المملة عن اجتماعات مجلس الإدارة بأسرع ما يمكن، ثم ذهب إلى جيل وسألها: "متى يمكنني أن أبدأ العمل؟"

استغربت جيل من سؤاله. "يا إلهي، هل قرأت تلك التقارير بالفعل؟ ظننت أنني أعطيتك ما يكفيك لتشغل نفسك لمدة شهر!" نظر إلى ساعته. "هيا بنا نخرج. حان وقت الغداء."

أوضحت جيل خلال الغداء أن مجلس الإدارة لن يجتمع مرة أخرى حتى منتصف سبتمبر، وأنه لن يكون هناك أي عمل آخر لأندرو حتى بعد ذلك الاجتماع.

عاد أندرو إلى كريستين في ذلك المساء وهو يشعر بخيبة أمل. قال: "أتصدقين يا كريس؟ إنهم غير مستعدين لي! لمدة شهر كامل لن يكون لدي ما أفعله سوى قراءة التقارير وشرب الشاي!"

قالت كريستين، شاردة الذهن: "لا عليك! المكان هنا جميل، أجمل بكثير من أبيرالاو. لقد ذهبت في نزهة بعد الظهر. يا إلهي! لقد خططت لأشياء رائعة لنفعلها معًا." نادرًا ما رآها متحمسة هكذا.

حبيبتي، هيا بنا نخرج لتناول العشاء! ثم، إذا لم تكوني متعبة للغاية، فقد نذهب إلى المسرح.

وبينما كانت تقوده إلى الباب، ضحك قائلاً: "أحتاج إلى بعض الترفيه بعد يومي الأول من العمل الشاق".

في صباح اليوم التالي، قرأ كل تقرير مرة أخرى. ثم بدأ باستكشاف المبنى. وفجأة وجد نفسه في غرفة طويلة، حيث كان شاب يرتدي معطفًا أبيض متسخًا يجلس على صندوق، يدخن غليونًا ولا يفعل شيئًا.

قال أندرو: "مرحباً!"

أجاب الآخر بتعب: "هل ضللت طريقك؟"

عرّف أندرو بنفسه قائلاً: "اسمي مانسون".

«كنت أظن ذلك. إذن أنت أتيت لتنضم إلى الرجال المنسيين!» توقف للحظة. «أنا الدكتور هوب.»

'ما الذي تفعله هنا؟'

يعلم الله! أحياناً أجلس هنا وأفكر. لكن في معظم الأوقات أجلس فقط. أحياناً، عندما يقع انفجار، يرسلون لي أجزاء من جثة عامل منجم لفحصها، ويطلبون مني معرفة سبب الحادث.

خرجوا لتناول الغداء معًا. ثم أخبرت هوب أندرو المزيد عن واجباته، وعن أعضاء مجلس الإدارة، ثلاثة منهم هم تشاليس، وآبي، وغادسبي.

"هل تعرفين غادسبي ؟"

قال أندرو لهوب عن فحصه: "لقد قابلت الرجل!"

«غادسبي رجل ذكي، لكنه لا يهتم إلا بنفسه». ضحك هوب، الذي كان يتمتع بروح دعابة عالية، فجأة، ثم روى لأندرو نكتة كان آبي قد أطلقها ذات مرة عن غادسبي. ضحك بصوت عالٍ مرة أخرى، ثم أصبح جادًا. «آبي هو أفضل رجل في المجلس. أما الآخرون فيقضون وقتًا طويلًا في الشجار لدرجة أنهم لا يتخذون أي قرارات أبدًا!»

كان أندرو وهوب يتناولان الغداء معًا كل يوم تقريبًا. ورغم أن هوب كان دائمًا ما يمزح، إلا أنه كان شابًا ذكيًا. وكان أندرو يؤمن بأنه قد يحقق إنجازًا مهمًا يومًا ما.

بينما كان أندرو ينتظر الاجتماع التالي لمجلس الإدارة، قام هو وكريستين باستكشاف لندن. وبدأوا يشعرون بأنهم ينتمون إلى هذا المكان.

الفصل الثاني والعشرون - قياس الضمادات

وأخيراً، في ظهيرة يوم 18 سبتمبر، اجتمع مجلس الإدارة. جلس أندرو بجانب جيل وهوب، وشاهد الأعضاء وهم يدخلون الغرفة الطويلة.

قال الرئيس مخاطباً الحضور: "أيها السادة، يسعدنا أن نرحب بطبيبنا الجديد. لقد حقق الدكتور مانسون اكتشافات مهمة، وعلينا أن نوفر له كل فرصة ممكنة لتطوير أبحاثه. نتمنى له، أيها السادة، زيارة المناجم وفحص عمال المناجم في أنحاء متفرقة من البلاد. وسنقدم له كل ما في وسعنا من مساعدة، بما في ذلك خدمات صديقنا الشاب الماهر الدكتور هوب."

أخذ أندرو نفساً سريعاً. كان هذا أفضل مما توقع.

وتابع الرئيس قائلاً: "لكن أيها السادة، قبل أن يبدأ الدكتور مانسون هذا العمل، أعتقد أنه ينبغي عليه الاهتمام بمسألة أخرى أكثر إلحاحاً. أعتقد أنه ينبغي عليه أولاً دراسة المواد الطبية المستخدمة في حوادث المناجم. على سبيل المثال، لا يوجد معيار ثابت لعرض الضمادات. أشعر أنه ينبغي على الدكتور مانسون أن يستقصي هذا الأمر، وأن يقدم تقريراً يقترح فيه أفضل عرض وطول للضمادة لكل نوع من أنواع الحوادث الأكثر شيوعاً."

ساد الصمت. نظر أندرو بيأس حول الطاولة.

قال آبي: "بالتأكيد يا سيدي، هذه المسألة المتعلقة بالضمادات ليست ذات أهمية كبيرة". "دكتور مانسون-"

"إنها بالتأكيد ليست ذات أهمية ضئيلة! لقد طلبت الحكومة هذا التقرير."

قاطعه أندرو قائلاً: "معذرةً سيدي، لقد فهمتُ أن عليّ القيام بعمل طبي هنا. لقد أضعتُ وقتي طوال شهر كامل دون فعل شيء. الآن، إذا كنت تتوقع مني أن..."

توقف ونظر إليهم. كانت آبي هي التي ساعدته.

"حجة الدكتور مانسون معقولة للغاية. لقد عمل بصبر لمدة أربع سنوات على بحثه؛ والآن، بعد أن عرضت عليه الفرصة لمواصلة العمل على هذا الأمر، تريدون إرساله لقياس الضمادات!"

ضحك الرئيس قائلاً: "إذا كان الدكتور مانسون صبوراً لمدة أربع سنوات، فيمكنه أن يكون صبوراً لفترة أطول قليلاً!"

بعد الاجتماع، ناقش أندرو الأمر مع جيل وهوب.

"لن يستغرق الأمر وقتاً طويلاً - حوالي ستة أشهر فقط"، طمأنه جيل. "ثم يمكنك البدء في عملك على غبار الفحم."

ضحكت هوب قائلة: "لن يحصل على الفرصة! سيظل يقيس الضمادات طوال حياته!"

"أوه، مضحك جداً!" التقط أندرو قبعته وعاد إلى منزله إلى كريستين.

اشترى سيارة قديمة؛ وفي يوم الاثنين التالي، بدأ هو وكريستين جولتهما في مناجم الفحم.

قال أندرو: "على أي حال، على الأقل نحن معًا يا كريس!"

كان العمل بسيطًا للغاية. قام أندرو بفحص الإمدادات الطبية في عدة مئات من المناجم، ثم عاد إلى لندن وكتب تقريره.

أرسل مجلس الفحم والمناجم هذا التقرير إلى عضو مهم في الحكومة، والذي طلب على الفور من أندرو الحضور إلى مكتبه.

قال له: "تقريرك ممتاز يا مانسون. تعتزم الحكومة سنّ قانون جديد ينظم استخدام المستلزمات الطبية في المناجم والمصانع. سنعتمد في هذا القانون على تقريرك. لكن لديّ اقتراح واحد أودّ منك تعديله. أعتقد أن ضمادة أضيق ستكون أفضل من الحجم الذي اقترحته. ألا توافقني الرأي؟"

كان أندرو غاضباً. "أنا شخصياً أفضل الضمادة الأكبر حجماً - لكنني لا أعتقد حقاً أن ذلك يُحدث فرقاً كبيراً!"

ماذا؟ لا فرق؟

لا، لا يوجد فرق على الإطلاق!

أنت تتعامل مع هذا الأمر باستخفاف شديد. ألا تدرك مدى أهميته؟

فقد أندرو أعصابه. "هل سبق لك أن نزلت إلى منجم؟ لقد فعلت. لقد أجريت عملية جراحية بشعة، وأنا مستلقٍ في بركة من الماء مع مصباح صغير واحد فقط، ولا يوجد متسع للحركة. وأقول لك هذا: حجم الضمادة لا يهم."

غادر أندرو المبنى بسرعة أكبر من سرعة دخوله. وعندما عاد إلى مكتبه في مجلس الفحم والمناجم، وقف لبعض الوقت ينظر من النافذة. فكّر قائلاً: "أنا لا أنتمي إلى هنا. أنا طبيب، لستُ موظفاً!"

وفي أواخر شهر مايو، أبلغ مجلس الإدارة بأنه سيغادر.

حاولت جيل إقناعه بالبقاء. لكن هوب قالت: "لا تستمع إليه! أنت محظوظ. سأرحل حالما أجد وظيفة أخرى - إن لم أجنّ أولاً!"

بعد عدة أشهر، وبناءً على معلومات قدمها الدكتور غادسبي، أعلنت الحكومة علنًا أن غبار الفحم هو سبب مرض خطير. وفي اليوم التالي، أشادت الصحف بغادسبي لعمله المفيد ووصفته بأنه طبيب عظيم!

الفصل الثالث والعشرون - أول تدريب لأندرو

بدأ أندرو وكريستين البحث عن عيادة. باعا سيارتهما لزيادة مدخراتهما. أصبح لديهما الآن 600 جنيه إسترليني، لكن بدا أن هذا المبلغ غير كافٍ لشراء عيادة في لندن. ثم، عندما كادا يفقدان الأمل، سمع أندرو أن طبيباً في منطقة بادينغتون بلندن قد توفي، وأن عيادته معروضة للبيع بسعر مناسب لميزانيتهما.

عندما ذهبوا لرؤية المنزل الكبير والبارد الذي سيكون منزلهم، شعروا بخيبة أمل.

قال أندرو: "إنها في منطقة بائسة". ثم أضاف، وقد بدت عليه علامات البهجة فجأة: "لكن هناك منازل جميلة في الحي. ما رأيك يا كريس؟ هل نغامر ونشتريها؟"

كانت كريستين متشككة. لقد سئمت من لندن. كرهت هذا المنزل البارد والشوارع القذرة. أرادت العودة إلى الريف. لكن أندرو بدا حريصًا جدًا على شراء عيادة في لندن، فتركته يحقق رغبته.

قالت: "حسناً، اشترِ العيادة إذا كنت ترغب في ذلك".

اشترى العيادة؛ وفي شهر أكتوبر انتقل هو وكريستين إلى منزلهما الجديد.

"لقد أنفقنا كل شيء يا كريس. يجب أن تكوني حذرة للغاية بشأن المال"، حذرها أندرو.

ففاجأته ببكائها. "انتبه! ألا أكون دائماً حذرة؟"

كريس! ما بك؟

أكره هذا المنزل! إنه مظلم وقذر للغاية! أنا-

"لكن يا كريس، المهم هو الممارسة - وليس المنزل!" ضمها بين ذراعيه وحاول مواساتها.

في صباح اليوم التالي، عند الساعة التاسعة، فتح عيادته. كان قلبه يخفق بشدة من فرط الحماس. حلت الساعة التاسعة والنصف. انتظر بقلق. كانت الساعة تقارب الحادية عشرة، ولم يصل أي مريض بعد.

فجأة رن جرس العيادة، ودخلت امرأة عجوز. كانت تعاني من سعال شديد. فحصها أندرو، ثم أعطاها زجاجة دواء، دفعت له ثمناً زهيداً.

شعر أندرو بحماس شديد وكأنه يكسب أول مال في حياته. ركض إلى كريستين وأراها النقود. "أول مريض يا كريس! هذا المال سيكفينا لشراء الغداء!"

في ذلك المساء، حضر ثلاثة مرضى إلى عيادته. لكن في اليوم التالي، لم يستقبل أي مريض؛ وفي اليوم الذي يليه، لم يكسب سوى أقل من جنيه إسترليني واحد.

بدأ أندرو يتساءل عما إذا كان قد ارتكب خطأً فادحاً بشراء هذه العيادة. كان هو وكريستين فقيرين لدرجة أنهما لم يكونا يملكان ما يكفي من الطعام في بعض الأحيان. وكانا يذهبان إلى متجر بقالة رخيص، تملكه امرأة ألمانية بدينة صغيرة تُدعى السيدة سميث، لشراء وجباتهما.

كانت السيدة سميث تحبهم وتعاملهم بلطف. وقد أحبت كريستين كثيراً، وفي أحد الأيام قالت لأندرو:

ستكون بخير. ستنجح. لديك زوجة صالحة. لا تقلق - سأرسل لك مرضى.

حاولوا التظاهر بأن معاناتهم كانت مسلية؛ لكنهم لم يعرفوا قط مثل هذه الأوقات العصيبة.

الفصل الرابع والعشرون - أندرو يقرر النجاح

شعر أندرو برغبة شديدة في صداقة طبيب آخر. كان ديني في الخارج، بعد أن شغل وظيفة في شركة نفط، وكانت هوب تعمل الآن في شمال إنجلترا. لذلك قرر أندرو الاتصال بفريدي هامسون.

قال له: "هذا مانسون - أندرو مانسون. لقد اشتريت عيادة في لندن".

مانسون! في لندن! يا إلهي! لماذا لم تتصل بي من قبل؟

"أوه، لقد كنت مشغولاً للغاية!" ابتسم أندرو لنفسه. "أنا متزوج الآن يا فريدي."

وأنا كذلك! يجب أن نلتقي فوراً. هل يمكنكِ الحضور لتناول العشاء يوم الخميس؟ جيد!

لم تُبدِ كريستين أي سرور عندما أخبرها أندرو بالدعوة.

اقترحت عليه قائلة: "اذهب وحدك يا أندرو".

"يا للهول! أعلم أنك لا تحب فريدي كثيراً، ولكن سيكون هناك أشخاص آخرون أيضاً - ربما أطباء آخرون."

عندما وصلوا إلى منزل هامسون الفخم ليلة الخميس، استقبلهم فريدي بحفاوة بالغة. قال: "من دواعي سروري أن أراكم مجدداً. ما رأيكم بمنزلي يا رجل؟ ألم أقل لكم إنني سأنجح؟"

بدا المنزل فخمًا للغاية. كان أندرو على وشك التعبير عن إعجابه عندما دخلت السيدة هامسون. وبعد لحظات، وصل باقي الضيوف. تلا ذلك التعارف وسط أحاديث وضحكات كثيرة. ثم تناولوا العشاء، الذي كان وجبة شهية تضمنت مأكولات ومشروبات فاخرة.

بعد كأسين من النبيذ، شعر أندرو بسعادة غامرة. أنصت باهتمام عندما تحدث إيفوري وديدمان، وهما طبيبان مشهوران وناجحان، بصوت عالٍ عن تجاربهما الطبية. قال في نفسه: "يجب أن أتعرف على هذين الرجلين أكثر. إنهما غنيان وناجحان للغاية!"

قال إيفوري: "لقد قمتُ بحيلة ذكية في اليوم الآخر. أقنعتُ مريضًا بالخضوع لدورة علاجية من 12 جلسة. أخبرته أن التكلفة المعتادة لهذه الجلسات هي 50 جنيهًا إسترلينيًا، لكنني سأكون على استعداد لتخفيض السعر إلى 45 جنيهًا إسترلينيًا إذا دفع لي على الفور. فأعطاني شيكًا على الفور!"

قال فريدي ضاحكاً: "هذه هي الطريقة لكسب المال! وكان بإمكانه الحصول على زجاجة دواء بنفس الفائدة!"

ابتسمت إيفوري وقالت: "نعم، وسعر الدواء أقل من جنيه!"

قال ديدمان: "معظم الناس لا يدركون مدى انخفاض تكلفة هذه العلاجات. المهم هو أن نجعلهم يعتقدون أنها باهظة الثمن!"

اتفق إيفوري وهامسون على ذلك. "بالضبط! كلما زاد المبلغ الذي تتقاضاه من المريض، زادت ثقته بك!"

استمروا في الحديث على هذا المنوال بعد العشاء. استمع أندرو، ودخن، وشرب. شربوا جميعًا. أشركوا أندرو في حديثهم، وعندما قالت كريستين إن الوقت قد حان للعودة إلى المنزل، علّق إيفوري بحرارة: "إذا احتجتَ في أي وقت إلى نصيحتي بشأن قضية ما، يا مانسون، فأخبرني. سأكون سعيدًا دائمًا بمساعدتك . "

شكره أندرو، ثم سار بخطوات غير ثابتة نحو الباب.

وفي طريق عودتهم إلى المنزل، قال بسعادة: "كريس! لقد قضينا وقتاً رائعاً، أليس كذلك؟"

أجابت ببرود: "لقد مررنا بوقت عصيب! أنا أحب ديني وهوب - لكن ليس هؤلاء الناس!"

لماذا؟ ماذا تقصد؟ ما المشكلة في- ؟

كل شيء! الطعام، الأثاث، طريقة كلامهم - المال هو كل ما يفكرون فيه!

ظن أندرو أن تعليقها نابع من الغيرة، فصرخ قائلاً: "سأجني لكِ المال يا كريس!"

قالت: "لا أريد المال!"

"لكن يا عزيزتي-" حاول أن يضع ذراعه حولها.

لا تفعل! أنا أحبك يا أندرو - ولكن ليس عندما تشرب كثيراً!

لم يقل أندرو المزيد، لكن عندما ذهب إلى الفراش تلك الليلة وعد نفسه قائلاً: "سأجني المال! سأنجح أيضاً!"

في صباح اليوم التالي، بحث أندرو عن مؤهلات إيفوري، ديدمان، وهامسون في كتاب طبي. ولدهشته، اكتشف أن هؤلاء الأطباء الأثرياء لا يملكون المؤهلات التي يملكها. قال لنفسه: "أستطيع أن أقدم أداءً أفضل منهم!"

اتخذ أندرو قراراً مفاجئاً بالبحث عن وظيفة بدوام جزئي في أحد مستشفيات لندن. ولأن الحصول على مثل هذه الوظائف لم يكن سهلاً، فقد ذهب لمقابلة السير روبرت آبي.

وعدته آبي قائلة: "سأبذل قصارى جهدي لمساعدتك. مستشفى فيكتوريا تشيست هو الأنسب لك. سأجري بعض الاستفسارات."

أهدرو إلى منزله وهو يشعر بسعادة بالغة.

قال لكريستين: "لقد رأيت آبي للتو. سيحاول أن يحصل لي على وظيفة في مستشفى فيكتوريا. إن تعييني في المستشفى سيحسن وضعي بشكل كبير."

أثار السرور في عينيها شعوره بالأسف. فسألها: "لقد كنتُ سيئ المزاج للغاية مؤخراً يا كريس! هل ستسامحيني؟"

ركضت نحوه قائلةً إن الخطأ كان خطأها.

عمل أندرو الآن بعزيمة أكبر، واثقًا من أنه سيحالفه الحظ قريبًا. وتحسّنت عيادته تدريجيًا، لكنه ما زال يواجه خيبات أمل كثيرة. بعض حالاته كانت خطيرة، وتتطلب دخول المستشفى فورًا. ومع ذلك، نادرًا ما كان أندرو يُقنع أي مستشفى باستقبال حتى أخطر الحالات.

كانوا يسألونه عندما يتصل: "دكتور هو؟". "من؟ لا، لا! آسف! ليس لدينا أسرة شاغرة!"

في أحد الأيام، ذهب أندرو إلى كريستين متذمراً: "لديهم الكثير من الأسرة لأطبائهم. إذا لم يعرفوا طبيباً، يرفضون استقبال مرضاه. هذه لندن! هذا هو نظامنا الصحي! إنه أمر فظيع!"

كان لا يزال ينتظر ردًا من آبي بشأن موعد المستشفى. كما شعر بخيبة أمل لعدم تلقيه أي أخبار من هامسون أو أصدقائه منذ عشاءهم. وفي إحدى أمسيات أواخر أبريل، جلس في عيادته وهو يشعر بضيق شديد، يفكر في مستقبله. كانت الساعة تقارب التاسعة مساءً، وكان على وشك إغلاق الباب ليلًا عندما دخلت شابة.

سألها: "ما مشكلتك؟"

ابتسمت وجلست. قالت: "نصحتني السيدة سميث، صاحبة متجر البقالة الصغير، بالقدوم إليك يا دكتور. أعمل في متجر ملابس كبير. اسمي الآنسة كرامب. أعاني من مشكلة في يديّ. لقد زرت العديد من الأطباء في هذه المنطقة، لكنهم لم يتمكنوا من علاجي."

نظر إلى يديها، اللتين كانتا حمراوين ومؤلمتين للغاية. وباهتمام مفاجئ، فحصهما عن كثب.

قالت: "إنها تجعل العمل صعباً عليّ. لقد جربت أدوية مختلفة، لكنها لم تُجدِ نفعاً".

قال: "لا، لن يفعلوا ذلك. أنت تعاني من مرض جلدي نادر نوعاً ما. الأدوية عديمة الفائدة لهذا المرض. إنه ناتج عن الطعام الذي تتناوله."

"حسنًا، لم يخبرني أي طبيب بذلك من قبل!"

ضحك وكتب قائمة بالأطعمة التي يجب عليها تجنبها.

أخذت القائمة قائلة: "سأعمل بنصيحتك يا دكتور. سأجرب أي شيء!" دفعت لأندرو مقابل خدماته، ثم غادرت.

بعد عشرة أيام، عادت وقالت: "انظر إلى يديّ الآن يا دكتور. لقد شفيت! أنا ممتنة لك للغاية!"

أجاب أندرو بتوتر: "لا بأس".

نهضت وقالت: "ربما في يوم من الأيام سأتمكن من إثبات امتناني لكم".

ابتسم وأرشدها إلى الباب.

الفصل الخامس والعشرون - المرضى الجدد

أثار علاج الآنسة كرامب دهشة وحماسة في متجرها للملابس. نصحت الفتيات الأخريات العاملات هناك بالذهاب إلى أندرو، وقد أخذن بنصيحتها. ورغبةً منهن في رؤية هذا الطبيب العظيم، كانت ست أو سبع فتيات على الأقل، لا يعانين من أي مشكلة صحية، يحضرن عيادته كل مساء. وقد ساهمت زياراتهن في زيادة أرباح أندرو بشكل كبير. لكن الآنسة كرامب كانت قد بدأت للتو في التعبير عن امتنانها.

في الأسبوع الأول من شهر يونيو، تلقى أندرو رسالة تطلب منه زيارة منزل الآنسة إيفريت، وهي سيدة ثرية تسكن في منطقة راقية جداً في لندن. قال لنفسه: "هذه فرصتي أخيراً!"، ثم غادر منزله لزيارة الآنسة إيفريت بعد أن أغلق عيادته مبكراً.

أدخله الخادم الذي فتح الباب إلى غرفة كبيرة مزينة بالخرز، حيث كانت الآنسة إيفريت، وهي امرأة في الخمسين من عمرها تقريبًا، تنتظره. ألقت عليه نظرة خاطفة ثم دخلت مباشرة في صلب الموضوع.

توفي طبيبي. إنه لأمر مؤسف، فقد كنت أثق به ثقة تامة. رشحتني الآنسة كرامب لك. اطلعت على مؤهلاتك، وأنت طبيب كفؤ! توقفت للحظة وألقت نظرة أخرى عليه. أعتقد أنك قد تكون الطبيب المناسب لي. فأنا أتلقى علاجًا لحمى القش في هذا الوقت من السنة. أظن أنك تفهم حمى القش؟

أجاب: "نعم. ما هو العلاج الذي تتلقاه؟"

ذكرت اسم علاج معروف. "لقد نصحني به طبيبي السابق. وقد كان مفيداً للغاية."

أراد أندرو أن يخبرها أن هذا العلاج عديم الجدوى، لكنه قرر أن ذلك سيكون تصرفًا أحمق. لم يكن ليخاطر بفقدان هذه الفرصة لكسب المال! فقال: "إذن سأعطيكِ نفس العلاج يا آنسة إيفريت".

"جيد! أقترح أن أدفع لك جنيهاً إسترلينياً واحداً عن كل زيارة. هل توافق على هذا الترتيب؟"

جنيه إسترليني واحد للزيارة! لم يسبق له أن تقاضى هذا المبلغ من قبل! لم يعد يكترث لفكرة تقديم علاج لا يؤمن به. ما أهمية أن يكون عديم الفائدة؟ لقد سئم الفشل. أراد النجاح. وسينجح!

زار الآنسة إيفريت مرة أخرى في اليوم التالي الساعة الحادية عشرة. ثم أصبح يزورها مرتين أسبوعياً. بعد كل جلسة علاج، كانا يتحدثان معاً لمدة نصف ساعة تقريباً. أخبر أندرو الآنسة إيفريت برغبته في النجاح، فشجعته.

في زيارته الأخيرة، قدمت له كأسًا من النبيذ ودفعت له شيكًا باثني عشر جنيهًا إسترلينيًا مقابل خدماته. ثم اصطحبته إلى الباب الأمامي، ووقفت للحظة تنظر إليه. قالت: "هل ستأخذ بنصيحة امرأة في مثل سن والدتك؟ اشترِ لنفسك بدلة جيدة. تقول إنك ترغب في النجاح. لن تنجح أبدًا بهذه الملابس!"

سار في الطريق، يشعر بالألم والغضب. لكن سرعان ما زال انزعاجه. فكّر قائلاً: "إنها محقة تماماً. كيف لي أن أجذب مرضى من الطبقة الراقية وأنا أرتدي ملابس كهذه؟"

عندما وصل إلى المنزل، أظهر شيكه بحماس لكريستين. "انظري إلى هذا يا امرأة! هذا مال حقيقي - ما يجب أن يحصل عليه طبيب مؤهل جيدًا . اثنا عشر جنيهًا إسترلينيًا لمجرد التحدث بلطف مع الآنسة إيفريت وإعطائها العلاج!"

سألت مبتسمة: "ما هذا؟" ثم انتابها الشك فجأة. "ألم أسمعك تقول إن هذا العلاج عديم الفائدة؟"

تغيرت ملامح وجهه. لقد أدلت بملاحظة واحدة لم يكن يرغب في سماعها.

صرخ قائلاً: "أنت لا تشعر بالرضا أبداً!"، ثم خرج من الغرفة.

في اليوم التالي ذهب إلى متجر جيد واشترى لنفسه بدلتين جديدتين من الملابس.

شعر ببعض الحرج عندما نزل لتناول الإفطار لأول مرة مرتدياً إحدى هذه البدلات. كانت كريستين تصب قهوته حين ظهر. وللحظة، عجزت عن الكلام من شدة الدهشة.

صرخت قائلة: "أندرو! تبدو جميلاً! هل أنت ذاهب إلى مكان ما؟"

"ذاهب إلى مكان ما؟ سأزور مرضاي بالطبع! ... حسنًا، هل أعجبك ذلك؟"

«نعم، إنه جميل جدًا. لكن...» ابتسمت. «لكنه يجعلك تبدو غريبًا جدًا!»

"أنتِ تفضلين أن أرتدي ملابس سيئة، أليس كذلك؟"

أنهى عمله في صمت، ثم غادر الغرفة ليبدأ عمله.

بعد ثلاثة أسابيع، كان لديه سبب وجيه للشعور بالرضا لشرائه هذه البدلات، إذ استدعته الآنسة إيفريت لعلاج قريب وصديق، كلاهما كانا بحاجة إلى نفس علاج حمى القش. قدّم أندرو العلاج لهما دون أن يشعر بأي ذنب. في الواقع، شعر بفخر كبير بنفسه. لقد كان منتصرًا! جعلته رغبته في النجاح ينسى الكلام المرير الذي كان يقوله عن الأطباء الآخرين الذين يتصرفون بهذه الطريقة. نسي أيضًا أن هذا التحسن في حالته بدأ بفضل امرأة ألمانية بدينة صغيرة في متجر بقالة رخيص.

وسرعان ما عُرضت عليه فرصة مثيرة أخرى. في أحد أيام الظهيرة، بينما كان يعدّ المال الذي كسبه خلال الشهر الماضي، رنّ الهاتف.

قال صوت: "أوه، دكتور مانسون، هذا السيد وينش، مدير متجر الملابس الذي تعمل فيه مريضتك، الآنسة كرامب. لقد مرضت سيدة في المتجر. هل يمكنك الحضور فوراً من فضلك؟"

وعده أندرو قائلاً: "سأكون هناك في غضون أربع دقائق".

استقبلته الآنسة كرامب في المتجر، وأوضحت قائلة: "أنا الآنسة لو روي. لقد نصحت السيد وينش بإرسال طلب إليك."

في تلك اللحظة، ظهر السيد وينش بنفسه. قال: "يا دكتور، أنا سعيدٌ جدًا برؤيتك! تفضل من هنا يا دكتور". ثم قاد أندرو إلى غرفة صغيرة، حيث كانت الآنسة لو روي ملقاة على الأرض، تصرخ وتبكي. كانت في الرابعة والعشرين من عمرها تقريبًا، بعيون زرقاء وشعر أشقر.

ركع أندرو بجانبها. وعلى الجانب الآخر منها ركعت امرأة أخرى. وظلت المرأة تردد: "أوه، توبي، توبي".

قال أندرو: "هذه حالة خطيرة. هل يمكنك إحضار كرسي لي من فضلك؟ "

ببطءٍ ولطفٍ شديدين، رفع أندرو الآنسة لو روي، التي كانت لا تزال تصرخ، إلى الكرسي. أمسك رأسها، وهمس لها بكلماتٍ قليلة. ثم فجأةً ضربها على وجهها. توقفت توبي عن الصراخ على الفور. ضربها أندرو مرةً ثانية.

ثم التفت إلى صديقتها وشرح لها قائلاً: "أنا آسف! لم يكن هناك خيار آخر. ربما كانت ستؤذي نفسها لو استمرت على هذا الحال لفترة أطول. ستكون بخير في غضون دقائق قليلة."

قالت صديقتها: "يجب أن أوصلها إلى المنزل. هل ستأتين معنا؟"

"حسناً جداً"، وافق أندرو.

أوصلوا الآنسة لو روي إلى منزلها بالسيارة. أثار منزلها دهشة أندرو: لم يسبق له أن دخل مبنىً بهذا الفخامة من قبل!

ألقت توبي بنفسها على كرسي مريح وقالت لصديقتها: "دقي الجرس يا عزيزتي. أريد مشروباً. الحمد لله أن أبي ليس في المنزل!"

أحضر الخادم بعض المشروبات. ولما انصرف، ابتسمت صديقة توبي لأندرو وقالت: "أنا السيدة لورانس. أعتقد أنه من الأفضل أن أشرح لك ما حدث يا دكتور. تشاجرت توبي بسبب فستان طلبته. لقد كانت تشعر بتعب شديد في الآونة الأخيرة، وهي سريعة الشجار." ثم صمتت قليلاً. "نحن ممتنون لك جدًا يا دكتور."

نظر توبي إلى أندرو وقال: "لقد جننت يا دكتور، أليس كذلك؟ هيا يا دكتور - قل إنني جننت! اضحك! لقد كان الأمر مضحكًا للغاية!"

قال أندرو بسرعة: "لم أجد الأمر مضحكاً!"، وشعر أنه يجب عليه أيضاً أن يوضح موقفه. "لقد تعرضت لنوبة شديدة. أنا آسف لأنني اضطررت لضربك."

ساد صمتٌ للحظات. كان أندرو قد أنهى مشروبه. قال بتلعثم: "حسنًا، يجب أن أعود إلى عملي. اطلب طبيبك غدًا. مع السلامة."

أدخلته السيدة لورانس إلى القاعة. كانت طويلة القامة، سمراء البشرة، وشابة في السن. مدت يدها إليه وقالت مبتسمة: "أعجبتني طريقتك في العلاج. أرى أنك ستحقق نجاحاً باهراً يوماً ما!"

أثناء سيره في الشارع، لاحظ أندرو بدهشة أن الساعة تقارب الخامسة. لقد أمضى ثلاث ساعات بصحبة هاتين السيدتين. سيتمكن من الحصول على أجر مرتفع مقابل خدماته - أجر مرتفع للغاية!

الفصل السادس والعشرون - دار رعاية المسنين

في صباح اليوم التالي، عندما كان أندرو على وشك زيارة بعض مرضاه الفقراء، اتصلت به السيدة لورانس وطلبت منه، بطريقة ودية للغاية، أن يزور توبي مرة أخرى.

ذهب أندرو مباشرة إلى المنزل. وهناك التقى بالسيد لو روي، الذي نظر إليه سريعًا وقال: "اسمع يا دكتور، أنا في عجلة من أمري! أنت شاب ذكي! حسنًا، عالج ابنتي. أوقف كل هراءها السخيف - بكائها وصراخها بلا سبب! امنحها أفضل علاج. أستطيع تحمل تكاليفه. مع السلامة."

عندما صعد أندرو إلى الطابق العلوي، وجد السيدة لورانس تنتظره خارج غرفة توبي.

كانت فرانسيس لورانس حاضرة كل يوم في وقت زيارته. جذبت شخصيتها الهادئة واللطيفة أندرو. ورغم أنه لم يدرك ذلك، إلا أنها سرعان ما بدأت تؤثر على بعض تصرفاته.

اقترحت عليه أن يشتري سيارة لعمله. لم يذكر أندرو هذا الأمر لكريستين، لكنه بدأ يتساءل كيف يمكن لأي طبيب أن يُنشئ عيادة مرموقة دون سيارة. لا يُعقل أن يُرى رجل في مكانته يسير في الشارع حاملاً حقيبته بنفسه! لم يكن بمقدوره شراء سيارة دفعة واحدة، لكن بإمكانه تقسيط المبلغ على سنتين أو ثلاث. أي ورشة صيانة سيارات ستوافق على هذا الترتيب.

بعد ثلاثة أسابيع، عاد أندرو إلى المنزل بسيارة جديدة باهظة الثمن. ركض إلى داخل المنزل ونادى قائلاً: "كريستين! كريستين! تعالي وانظري إلى شيء ما!"

كان ينوي مفاجأتها، وقد نجح في ذلك.

أندرو! هل هذه لنا؟ يا لها من سيارة جميلة!

ابتسم لها قائلاً: "ادخلي يا سيدتي، وسأصطحبك في جولة بالسيارة!"

كانت تُعجب بالسيارة مرارًا وتكرارًا بينما كان يقودها في شوارع المدينة. لم يعودا يخرجان معًا إلا نادرًا، لذا كانت تستمتع بكل دقيقة. قالت بسعادة: "ربما نستطيع الآن الذهاب بالسيارة إلى الريف أيام الأحد. يا له من أمر رائع!"

أزعج الاقتراح أندرو. فأجاب: "حسنًا، أعتقد ذلك! لكن لا يمكننا أن نعتاد على القيادة إلى الريف. السيارة للعمل - وليست للترفيه."

عادوا إلى منازلهم في صمت.

يوم الخميس، وبينما كان أندرو يغادر منزل عائلة لو روي، التقى فريدي هامسون. قال: "مرحباً هامسون".

نظر إليه فريدي بدهشة. "مرحباً! ماذا تفعل هنا؟"

أجاب أندرو مشيرًا نحو المنزل: "مريض! أنا أعتني بابنة لو روي."

"لو روا!"

ابتهج أندرو بمفاجأة فريدي، فوضع يده بفخر على باب سيارته الجديدة وسأل: "إلى أي اتجاه أنت ذاهب؟ هل يمكنني أن أوصلك إلى أي مكان؟"

قال فريدي: "سأذهب إلى دار رعاية المسنين التابعة لإيدا شيرينغتون. يمكنك أن توصلني إلى هناك إذا أردت."

أثناء توجههما بالسيارة إلى دار رعاية المسنين، ساد الصمت بين الرجلين. كان هامسون غارقًا في أفكاره. لقد استقبل أندرو بحفاوة بالغة عند قدومه إلى لندن، على أمل أن يستشيره مانسون أحيانًا في بعض الحالات، مقابل أجر زهيد. لكن هذا التغيير المفاجئ في صديقه القديم - ملابسه الجديدة، وسيارته، وذكره لـ"لو روي" - جعل هامسون يعتقد أن أندرو قد يكون أكثر فائدة له مما كان يتوقع.

قال عندما وصلوا إلى دار رعاية المسنين: "تعالوا وتعرفوا على إيدا. دارها من أسوأ دور الرعاية في لندن، لكنها تجني الكثير من المال. إنها شخص يستحق التعرف عليه!"

'نعم؟'

تعال معي لرؤية مريضتي - السيدة رايبورن العجوز. أنا وإيفوري نجري لها بعض الفحوصات. تعال وافحص صدرها. سيسعدها ذلك. وستدفع لك خمسة جنيهات!

ماذا! تقصدين ... ؟ لكن ما مشكلة صدرها؟

"لا شيء! لا تبدو متفاجئاً هكذا! هكذا نعمل هنا - أنا وإيفوري وديدمان. عليك حقاً أن تنضم إلينا. نجاح نظامنا سيفاجئك."

ترجّل أندرو من السيارة ونظر إلى المبنى الشاهق البارد. ثم أدار رأسه وأنصت إلى ضجيج السيارات والحافلات في الشارع. وتساءل في نفسه كيف يمكن لأي مريض أن يجد السكينة هنا. ذكر أندرو هذا الأمر لهامسون وهما يدخلان المبنى.

"نعم، إنه صاخب"، وافق فريدي. "لكن المنطقة مناسبة جداً لنا. هذا كل ما يهم."

أخذ أندرو إلى مكتب صغير، حيث كانت تجلس امرأة بدينة ذات وجه أحمر على مكتب.

نادى فريدي قائلاً: "صباح الخير يا إيدا، لقد أحضرت الدكتور مانسون لرؤيتك."

استقبلت إيدا مانسون بودّ. وبعد أن تحدثا لبضع دقائق، قاطعهما فريدي قائلاً لإيدا: "انظري إليه جيداً، سيرسل إليكِ قريباً الكثير من المرضى".

ضحك هامسون، ثم اصطحب أندرو إلى الطابق العلوي لرؤية السيدة رايبورن. كانت امرأة في الستين من عمرها تقريبًا. جلس فريدي على سريرها وتحدث معها. أخبرها أن السيد إيفوري سيتصل في اليوم التالي ليخبرها بنتائج فحوصاته المهمة؛ وطلب منها أن تسمح للدكتور مانسون، الذي أجرى دراسة متخصصة في الرئتين، بفحص صدرها. سُرّت السيدة رايبورن بالاقتراح. استمتعت بالفحص. كانت امرأة ثرية وتحب إنفاق أموالها على صحتها.

"يا إلهي! ليس لديك أدنى فكرة عن مقدار المال الذي ربحناه من تلك العجوز!"

لم يُجب أندرو. شعر بالاشمئزاز من هذا المكان. لم يكن هناك ما يُعيب السيدة العجوز، وكان سلوك فريدي مُخزياً. صافح هامسون وانطلق بسيارته.

في نهاية الشهر، عندما استلم شيكًا بخمسة جنيهات من السيدة رايبورن، أدرك أنه كان مخطئًا في شعوره السابق. لقد قدم لها خدماته واستحق هذا المبلغ! فقبل الشيك.

الفصل السابع والعشرون - كيف تصبح ثرياً

انتهت أوقات أندرو الصعبة. أصبح عدد المرضى الذين يترددون على عيادته كبيراً لدرجة أنه لم يعد بإمكانه تخصيص الوقت الكافي لتقديم الرعاية المناسبة لهم.

قال ذات صباح: "اسمع يا كريس، لقد خطرت لي فكرة لتوفير الوقت. أريدك أن تتولى أمر الأدوية نيابةً عني. عادةً ما أقضي حوالي خمس دقائق في تحضير دواء كل مريض. خلال تلك الدقائق الخمس، يمكنني فحص مريض آخر!"

نظرت إليه وقالت: "لكنني لا أعرف شيئاً عن الطب!"

ابتسم وقال: "لا يهم يا عزيزتي. لقد جهزت كمية كبيرة من نوعين مختلفين من الدواء. سأخبرك أي نوع تعطيه لكل مريض. ثم ستقومين بملء الزجاجة وتسليمها له."

بدت كريستين قلقة، وقالت: "لكن - أوه، أندرو، هل تصدق حقاً-"

"أوه، أعلم أنني كنت أتحدث كثيراً عن الهراء بشأن الطب في أبيرالاو! لكنني طبيب عملي الآن. هذه الأدوية لا يمكن أن تسبب أي ضرر!"

أدركت كريستين أن الجدال معه مضيعة للوقت، لذا وافقت على ملء الزجاجات. في كل عملية جراحية، كان أندرو يركض إلى غرفتها ليخبرها بالدواء الذي يجب إعطاؤه لكل مريض، ثم يعود مسرعًا إلى عيادته ليعالج المريض التالي.

في إحدى المرات، أخبرته كريستين أن أحد الأدوية قد نفد. صرخ أندرو: "لا بأس، أعطني الآخر! أعطني ماءً ملوناً! أعطني أي شيء!"

بعد انتهاء العمليات الجراحية المسائية، كان أندرو يجلس ويراجع حساباته. قال بفخر ذات مساء: "يا إلهي، كريس، نحن بخير! أتتذكرين ذلك المبلغ الزهيد الذي ربحته في أول يوم لنا هنا؟ حسنًا، اليوم - اليوم ربحت أكثر من ثمانية جنيهات!" وضع المال في درج وأثنى على حكمته في شراء العيادة. "نعم، وأنا أعالج مرضى من الطبقة الراقية أيضًا. سنصبح أغنياء، يا عزيزتي!"

وسرعان ما استطاع أن يطلب منها شراء أثاث جديد للمنزل. "اذهبي إلى أفضل متجر. اشتري كل الأثاث الجديد الذي تريدينه. اشتري كل شيء!"

نظرت إليه كريستين في صمت.

ابتسم وقال: "هذه هي متعة جني المال! يستطيع المرء شراء كل ما يريده. فلنستمتع بنجاحنا!"

"عن طريق شراء أثاث باهظ الثمن؟"

لم يلحظ المرارة في صوتها. ضحك قائلاً: "هذا صحيح يا عزيزتي. الآن هو الوقت المناسب للتخلص من كل تلك القطع القديمة البشعة!"

انفجرت بالبكاء. "لم تكن تخجل من ذلك في أبيرالاو. آه، لقد كانت أيامًا سعيدة!" ثم استدارت وركضت خارج الغرفة.

تفاجأ أندرو كثيراً. فكر بغضب: "إنها لا تهتم بنجاحي - إنها لا تهتم!"

لكن آخرين أظهروا له الاحترام.

بعد أسبوع من شجاره مع كريستين، اتصلت به السيدة لورانس ودعته إلى حفل غداء يوم الجمعة التالي. وقالت له: "سيكون هناك أيضاً شخص أو شخصان مهمان أود أن تتعرف عليهما".

شعر أندرو بأنه من الحماقة تفويت أي فرصة للقاء أشخاص قد يساعدونه، فقبل الدعوة. لكنه لم يرغب في المخاطرة بشجار آخر مع كريستين؛ لذا، عندما حلّ يوم الجمعة، أخبرها أنه سيذهب لتناول الغداء مع هامسون. شعر بالارتياح، فقفز إلى سيارته وانطلق إلى منزل السيدة لورانس.

حضر حفل الغداء عدد من الشخصيات المعروفة، من بينهم أحد أشهر أطباء لندن. كان الطعام ممتازًا، مع وفرة من النبيذ. شرب أندرو، وضحك، وشارك في الحديث، واستمتع بكل لحظة. ورغم أن معظم الحديث كان تافهًا كحديث حفلة هامسون، إلا أن أندرو عاد إلى منزله بشعور من الرضا.

لكن في صباح اليوم التالي، تلقى صدمة. اتصل به فريدي ليسأله: "هل استمتعت بساندويتشك أمس؟ كيف عرفت بالأمر؟ ألم ترَ الصحف؟"

ركض أندرو إلى غرفة الجلوس، وقلب صفحات جريدته على عجل. ولدهشته الكبيرة، رأى صورة لفرانسيس لورانس وتقريراً عن حفلها، مع أسماء جميع الضيوف. فمزق الصفحة وألقى بها في النار.

لكن كريستين كانت قد قرأت الصحيفة بالفعل. شعرت بألمٍ شديد. لماذا لم يخبرها؟ لماذا؟ لماذا؟ شعرت بالشفقة على أندرو أكثر من شفقتها على نفسها. كانت تعلم أن الأغنياء قد يمرضون كما الفقراء، لكنها شعرت أن أندرو يتخلى عن كل معتقداته لمجرد كسب المال.

للأسف، حاولت القيام بأعمالها المنزلية.

فجأة رنّ الهاتف. ولأن أندرو كان قد خرج، أجابت. لمعت عيناها فرحاً. ظلت تنظر من النافذة، متلهفة لعودة أندرو. نسيت حزنها. لقد تلقت أخباراً سارة!

عندما عاد أندرو، ركضت إلى القاعة ونادت عليه قائلة: "أندرو! لقد اتصل السير روبرت آبي للتو. عزيزي! لقد تم تعيينك في منصب في مستشفى فيكتوريا."

انهمرت دموع الفرح من عينيه. "يا إلهي، هذه أخبار رائعة يا كريس!"

صرخت قائلة: "أليس كذلك؟ أليس كذلك؟" ثم وضعت ذراعيها حول عنقه وقبلته.

نظر إليها متأثراً بحبها. قال: "كم أنتِ رائعة يا كريس! وكم أنا سيء!"

الفصل الثامن والعشرون - عودة ديني

ولفخره الكبير، أصبح أندرو الآن طبيباً في أحد أقدم وأشهر المستشفيات في لندن.

كان مبنى فيكتوريا قديماً بالفعل. يقع في شارع صاخب وقذر، ونادراً ما يرى الشمس، حتى في الصيف. كانت رائحة القدم تفوح من القسم الذي كان يعمل فيه أندرو.

كان أندرو يعمل في مستشفى فيكتوريا بعد ظهر يومين في الأسبوع، وكان جميع مرضاه يعانون من نوع من أمراض الرئة. ورغم حماسه لوظيفته الجديدة، لم يستطع أندرو أن يُكرّس نفسه لعمله. فقد فقد اهتمامه باكتشافاته المتعلقة بغبار الفحم. كانت لديه أمور أهمّ تشغل باله الآن! قرر أنه لا يستحق عناء إجراء فحص طبي شامل لكل من يأتي إليه. بدلاً من ذلك، كان يُلقي نظرة سريعة على كل مريض، ثم يُعطيه زجاجة دواء.

بعد ستة أسابيع من بدء عمله في فندق فيكتوريا، تلقى أندرو رسالة من ديني. فصرخ فرحاً فجأة. "إنه عائد إلى الوطن - للعمل في إنجلترا. يا إلهي، سيكون من الرائع رؤيته مجدداً يا كريس!"

كانت سعيدة مثل أندرو، ولكن لسبب مختلف. لطالما شعرت أن ديني وهوب كان لهما تأثير إيجابي على أندرو، وكانت تأمل أن يؤثر ديني على سلوكه الآن. قالت: "أعتقد أنني سأدعو ديني وهوب إلى العشاء الأسبوع المقبل".

أجاب قائلاً: "حسناً، لكن سيتعين عليهم الحضور يوم الأحد. أنا مشغول جداً خلال بقية أيام الأسبوع!"

وفي يوم الأحد التالي، وصل ديني. بدا أكبر سناً، لكنه بدا أكثر سعادة. ومع ذلك، فقد كان هو ديني نفسه.

قال لهم: "هذا منزل فخم للغاية!" ثم التفت إلى كريستين وأضاف: "ومن هذا الرجل الأنيق؟ هل هو الدكتور مانسون؟"

وبعد لحظات، جلس ورفض تناول مشروب. قال: "لا، شكراً. أنا لا أشرب الآن. سأهدأ قليلاً."

أخبرهم أنه وجد لنفسه وظيفة جيدة في مستشفى ريفي.

نظر إليه أندرو بسرعة. "لا يجب أن تعزل نفسك في الريف يا فيليب! بشهادتك، يمكنك الحصول على وظيفة أفضل بكثير في لندن. تعال إلى لندن!"

سأل ديني كريستين: "ماذا كنتِ تفعلين به؟ لا يبدو أنه الرجل الذي فجّر ذلك المجاري معي في درينفي!"

في تلك اللحظة وصل هوب. لم يكن قد التقى هو وديني من قبل، لكنهما أعجبا ببعضهما على الفور. وبعد خمس دقائق، وبينما كانا يجلسان لتناول العشاء، بدآ يمزحان أمامه بشأن نجاح أندرو.

قال فيليب بحزن: "بالطبع يا هوب، لقد عرفت هؤلاء الناس منذ زمن طويل. كنت أعرف الطبيب قبل مجيئه إلى لندن - قبل أن يحقق كل هذا النجاح! لقد طُرد من منصبه الأخير لاستخدامه الحيوانات في أبحاثه!"

ضحكت هوب بصوت عالٍ وردت بنكتة أخرى عن أندرو.

دار المزيد من هذا النوع من الحديث أثناء تناول الطعام. ثم، وكما كانت كريستين تأمل، أصبح الحديث أكثر جدية. في البداية، كان أندرو هادئًا نوعًا ما. مع أنه كان سعيدًا برؤية فيليب مجددًا، إلا أنه لم يشعر أن صديقه القديم يُظهر الاحترام الكافي لنجاحه. ففي النهاية، لقد حقق نجاحًا باهرًا - نجاحًا منقطع النظير! وماذا فعل ديني؟ كاد أندرو أن يطلب من ديني وهوب مرارًا وتكرارًا التوقف عن محاولة إضحاكهما. ومع ذلك، عندما بدأوا الحديث عن المستشفيات، انضم أندرو إلى الحوار باهتمام بالغ.

صرخ قائلاً: "إنها جميعها قديمة! فندق فيكتوريا ينهار! معظم مستشفيات لندن تنهار! المباني قديمة، والشوارع صاخبة! كيف يمكن للمرضى أن يتعافوا في مثل هذه الظروف؟ النظام بأكمله خاطئ!"

سأل فيليب بابتسامة مزعجة: "حسنًا، ما هو الحل؟ ماذا تقترح؟ مجلس إدارة جديد، أنت المسؤول عنه، لإعادة تنظيم جميع المستشفيات؟"

أجاب أندرو بغضب: "لا تكن أحمق يا ديني! الحل المنطقي الوحيد هو بناء مستشفيات جديدة على بعد كيلومترات قليلة خارج لندن، في مناطق هادئة حيث الهواء نقي ومنعش. أقول لك: النظام الحالي كارثي. وماذا نفعل حيال ذلك؟ لا شيء! لو كنتُ المسؤول..."

تحدثوا حتى بعد منتصف الليل. اشتكى ديني من قلة المعرفة التي أظهرها العديد من الأطباء؛ واشتكت هوب من هدر الإمدادات الطبية.

بعد منتصف الليل بقليل، غادرت هوب. وبينما كان أندرو خارج الغرفة يودعها، أعطى ديني كريستين هدية صغيرة أحضرها لها من الخارج. حاولت كريستين شكره، لكنه أوقفها. وبنظرة حانية تتجنب عينيها، قال ديني: "لا تقلقي بشأن أندرو". ثم ابتسم. "لكن علينا أن نحاول إعادته إلى طباعه القديمة في درينفي، أليس كذلك؟"

الفصل التاسع والعشرون - المال من السيد إيفوري

بعد زيارة ديني بفترة وجيزة، طلبت السيدة ثورنتون من أندرو أن يزور ابنتها سيبيل التي أصيبت في قدمها. وعندما فحص أندرو قدمها، قرر أن الحل الوحيد هو إجراء عملية جراحية بسيطة. ونصح السيدة ثورنتون قائلاً: "يجب أن أجري هذه العملية قبل أن تتفاقم حالة القدم".

قالت: "سأعمل بنصيحتك يا دكتور. هل يمكنك ترتيب ذلك من فضلك؟ ومن تقترح أن يجري العملية؟"

للحظة، لم يستطع أندرو التفكير في أي شخص. ثم تذكر فجأة إيفوري. قال: "قد يفعل السيد إيفوري هذا من أجلنا - إذا لم يكن مشغولاً للغاية".

عاد أندرو إلى المنزل واتصل هاتفياً بإيفوري، الذي كان ودوداً للغاية. فحص الفتاة، واتفق على ضرورة إجراء عملية جراحية؛ وبعد يومين، أجرى العملية في دار رعاية الآنسة شيرينغتون.

كان أندرو حاضرًا، لأن إيفوري قال إنه من المهم حضوره. بعد أسبوعين، عندما غادرت سيبيل ثورنتون دار رعاية المسنين، دعاه إيفوري لتناول الغداء. خلال الغداء، اقترح على أندرو: "اترك لي ترتيبات تمويل العملية. سمعت أن عائلة ثورنتون ثرية جدًا. يمكنني أن أتقاضى منهم مبلغًا أكبر مما يمكنك". ثم توقف قليلًا وقال: "هناك أمر آخر يجب أن أذكره: لوزتا سيبيل في حالة سيئة. هل فحصتهما؟"

لا، لا، لم أفعل.

"أوه، إنها سيئة للغاية! آمل ألا تمانعي، لكنني أخبرت السيدة ثورنتون أننا سنستأصل لوزتي سيبيل بمجرد أن يصبح الطقس دافئًا."

وفي طريق عودته إلى المنزل، فكر أندرو: "يا له من رجل لطيف إيفوري - إنه لطيف للغاية وسهل التعامل معه!"

بعد حوالي شهر، وبينما كان يحتسي الشاي مع كريستين، وصله بريد الظهيرة برسالة ودية من إيفوري، مرفقة بشيك بقيمة عشرين جنيهاً إسترلينياً. نظر أندرو إلى الشيك بدهشة. لم يفعل شيئاً لمساعدة إيفوري في العملية! ابتسم وهو يُسلّم الرسالة والشيك إلى كريستين قائلاً: "هذا كرمٌ كبير، أليس كذلك يا كريس؟"

بدت عليها الحيرة. "لكنني لا أفهم. هل هذا سداد لفاتورتك للسيدة ثورنتون؟"

ضحك وقال: "لا، لا! هذه دفعة إضافية - مقابل الوقت الذي قضيته في العملية. لقد استحققت هذا لمجرد وجودي هناك."

وضعت الشيك على الطاولة. "يبدو مبلغاً كبيراً مقابل لا شيء!"

"حسنًا، لم لا؟ عائلة ثورنتون ثرية جدًا. بإمكانهم تحمل تكاليف ذلك بسهولة!"

بعد أن غادر أندرو، نظرت كريستين إلى الشيك مرة أخرى.

لم تكن تعلم أنه يعمل مع إيفوري. فجأةً عادت إليها كل مخاوفها. كم أصبح مولعًا بالمال! يبدو أن المال هو كل ما يهمه! انهمرت دموعها. لا بد لها من التحدث إليه.

في ذلك المساء، وبعد الجراحة، سألت ببطء: "أندرو، هل ستفعل شيئًا لإرضائي؟ هل ستقودني إلى الريف يوم الأحد؟"

نظر إليها باستغراب. "حسنًا - أوه، لا بأس!"

في يوم الأحد، وهو يوم ربيعي جميل، توجهوا بالسيارة إلى قرية تبعد بضعة أميال عن لندن، حيث تناولوا غداءهم - الذي أحضروه معهم - بجوار بعض الغابات.

بينما كانا جالسين تحت أشعة الشمس، أخذت كريستين نفسًا عميقًا. قالت: "أندرو، عزيزي، أريد التحدث إليك. المال ليس كل شيء في الحياة! أرجوك استمع إليّ. أرجوك! لقد تغيرت كثيرًا يا أندرو! لاحظ ديني الفرق فيك أيضًا! أنت لست أندرو مانسون الذي تزوجته! آه، ليتك تعود كما كنت!"

صرخ أندرو قائلاً: "ماذا فعلت خطأً الآن؟"

"الأمر كله يتعلق بسلوكك يا عزيزتي! ذلك الشيك الذي أرسلته لكِ إيفوري - ليس من الصواب قبوله!"

تصلّب. "ليس صحيحاً! لماذا لا أقبل ذلك؟"

"أوه، ألا تفهم ما أعنيه؟ أنت تفعل كل الأشياء التي كانت تغضبك بشدة من الأطباء الآخرين! أوه، أندرو، لا تفقد كل احترامك لنفسك . " ثم انفجرت في البكاء فجأة.

نظر إليها بغضب. "أوه، كفى بكاءً يا حمقاء! حاولي مساعدتي بدلاً من التذمر طوال الوقت! تتحدثين وكأنني مجرم. كل ما أريده هو النجاح. لا تذكري هذا الهراء لي مرة أخرى."

صرخت قائلة: "حسناً، لن أفعل. لكنني أحذرك: ستندم يوماً ما."

لم يتحدثا مع بعضهما البعض إلا قليلاً طوال بقية اليوم.

مع اقتراب نهاية الأسبوع، ذهب أندرو لتناول الشاي مع السيدة لورانس، التي بدت دائماً موافقة على تصرفاته.

اقترحت السيدة لورانس: "لماذا لا تستأجر غرفة في هذا الجزء من لندن لهذه العيادة الراقية التي تتوق إلى تطويرها؟ سيأتي إليك الكثير من الأشخاص الأثرياء إذا كان لديك غرفة في هذه المنطقة."

بعد نصف ساعة، وبينما كان أندرو يقود سيارته عائدًا إلى المنزل، فكّر في اقتراح السيدة لورانس. لقد كانت فكرة جيدة! ودون أن يخبر كريستين، بدأ يبحث عن غرفة في منطقة ويست إند بلندن. وعندما وجد واحدة، بعد حوالي شهر، أخبرها على الإفطار: "قد يهمكِ أن تعلمي أنني استأجرت غرفة في شارع ويلبيك. سأستخدم العيادة هنا للأشخاص ذوي الدخل المحدود، وغرفتي الجديدة في ويست إند لمرضاي الأثرياء."

الفصل الثلاثون - الغداء مع السيد ستيلمان

منحت الغرفة في شارع ويلبيك أندرو شعوراً جديداً بأهميته. قدمت فرانسيس لورانس وفريدي هامسون اقتراحات بشأن الديكورات والأثاث؛ كما وجد له هامسون ممرضة - الممرضة شارب، وهي امرأة قاسية نوعاً ما ولكنها مجتهدة، وكانت صديقة للممرضة التي وظفها فريدي.

عندما جهزت غرفته، بدت فخمة للغاية. قرر أندرو أنه يستطيع أن يتقاضى من مرضاه ما لا يقل عن ثلاثة جنيهات إسترلينية للزيارة الواحدة.

في الأسبوع الأول أو الأسبوعين الأولين، لم يأتِ إليه سوى عدد قليل من الناس، ولكن بعد ذلك بدأ المرضى بالتوافد بكثرة. كان رجلاً مشغولاً، يقود سيارته الفاخرة ذهاباً وإياباً من منزله إلى مكتبه في شارع ويلبيك، ومن هناك إلى مستشفى فيكتوريا. ونادراً ما كان ينهي عمله قبل الساعة العاشرة ليلاً.

في شهر يونيو، قام إيفوري باستئصال لوزتي سيبيل ثورنتون، وأرسل شيكاً إلى أندرو كدفعة مقابل حضوره العملية.

في أحد أيام الظهيرة بعد ذلك بوقت قصير، اتصلت امرأة مسنة بأندرو تشكو من حلقها. كان علاج حالتها بسيطًا، لكن أندرو قرر إحالتها إلى هامسون لاستشارته بشأن أفضل علاج: فقد كان فريدي كريمًا جدًا في وقت متأخر، لذا أراد أن يمنحه هذه الفرصة ليكسب ثلاثة جنيهات بسهولة. بعد أسبوع أو أسبوعين، أرسل هامسون، في المقابل، إلى أندرو أحد مرضاه لفحصه.

في ذلك المساء، وبينما كان أندرو يقود سيارته عائداً إلى منزله من عيادته في ويست إند، شعر برضا كبير عن نفسه. لكنه وجد كريستين بعيدة كل البعد عن الرضا.

قالت له: "لقد اتصلت بك السيدة لورانس مرة أخرى بعد ظهر اليوم. لم تترك رسالة!"

احمر وجهه. "ماذا تقصد بـ - مرة أخرى؟"

هذه هي المرة الرابعة التي تتصل بك فيها هذا الأسبوع!

'حسنًا؟'

لا شيء! لم أقل شيئاً.

"الأمر يتعلق بمظهرك. ليس ذنبي إذا اتصلت بي!"

خرج مسرعًا من الغرفة. شعر بالندم على الفور. كانت علاقته بكريستين تتدهور - بعد أن كانا سعيدين للغاية! انتابته رغبة مفاجئة في إرضائها. وفي اللحظة التالية، كان في سيارته متوجهًا لرؤية الآنسة كرامب في متجرها.

عندما عاد، دخل غرفة المعيشة ونادى قائلاً: "كريستين! تعالي إلى هنا لحظة!"

أتت على الفور.

قال أندرو بتردد: "انظري يا عزيزتي! لقد اشتريت لكِ هذا. أعلم - أعلم أننا كنا نتجادل مؤخراً. لكن هذا يجب أن يُريكِ -" ثم توقف عن الكلام، وناولها علبة.

عندما فتحت الفستان، ارتجفت يداها. ثم أطلقت صرخة مكتومة. "يا له من فستانٍ جميل، جميل!" انهمرت دموعها. التفتت إليه بحماس. "أنت تحبني، أليس كذلك يا عزيزي؟ هذا كل ما يهمني."

ابتسم. "بالتأكيد. اسمع يا كريس، سأصطحبك لتناول العشاء اليوم."

أخذها إلى مطعم باهظ الثمن للغاية. ضحك قائلاً: "لم يكن لدينا هذا النوع من الطعام في درينفي"، بينما بدآ بتناول وجبتهما.

كان أندرو مصمماً على قضاء وقت ممتع، لكن كريستين لم تستطع أن تكون مبتهجة. كانت الغرفة مكتظة وحارة وصاخبة. كان ضجيج هؤلاء الأثرياء يثير اشمئزازها. وفجأة، شعرت بالغثيان.

سأل أندرو: "ما الأمر؟ ألا تستمتع بوقتك؟"

"نعم، بالطبع." حاولت أن تبتسم.

لم تستمع إلى كلمة واحدة مما قلته! لم تشرب من نبيذك! عندما يصطحب الرجل زوجته في نزهة...

سألت بصوتٍ خافت: "هل يُمكنني الحصول على قليلٍ من الماء؟" كادت تصرخ. لقد كرهت هذا المكان!

أنهيا طعامهما في صمت، ثم انطلقا عائدين إلى المنزل. كانت علاقتهما أسوأ من ذي قبل. شعرت كريستين ببؤس شديد، وبدأت تفقد ثقتها بنفسها، وتتساءل إن كانت حقاً الزوجة المناسبة لأندرو.

لكن مخاوف أندرو في المنزل تراجعت إلى الخلفية عندما قرأ في اليوم التالي في إحدى الصحف أن ريتشارد ستيلمان - الرجل الذي يملك مستشفى في أمريكا والذي كتب ليشيد بتجاربه على غبار الفحم - قد جاء إلى إنجلترا ويقيم في فندق في لندن.

لم يكن ستيلمان مؤهلاً طبياً. بعد تركه المدرسة، بدأ دراسة الطب في إحدى الجامعات الأمريكية، لكن قبل أن يُنهي دراسته، توفي والده تاركاً لوالدته مبلغاً زهيداً من المال. ولإعالة والدته وشقيقته، ترك ستيلمان الجامعة ليعمل في مشروع عائلي قديم. كان يكره هذا العمل. واصل دراسة الطب في أوقات فراغه، وعندما ادخر ما يكفي من المال، عاد إلى مهنة الطب. لكن سنوات ثمينة كثيرة أُهدرت، فلم يحصل ستيلمان على شهادة. بدلاً من ذلك، بنى مستشفى لعلاج مرضى الرئة. في البداية، رفض الأطباء الأمريكيون الاعتراف به. لكن ستيلمان شفى الكثيرين ممن عجز غيره عن علاجهم، حتى نال تدريجياً احترام الأوساط الطبية الأمريكية.

استمر الأطباء الإنجليز في رفض الاعتراف بستيلمان، لكن أندرو كان يكنّ له احتراماً كبيراً. فكتب إليه على الفور، داعياً إياه لتناول الغداء في المطعم الفاخر الذي اصطحب إليه كريستين.

في صباح اليوم التالي، اتصل به ستيلمان هاتفياً. قال: "دكتور مانسون، أود أن ألتقي بك لتناول الغداء - ولكن ليس في ذلك المطعم. أكره هذا المكان! تعال وتناول الغداء في فندقي."

عندما جلسوا على طاولة هادئة في غرفة الطعام بفندقه، ابتسم ستيلمان ابتسامة ودية لأندرو وقال: "من الجميل جداً أن أكون في إنجلترا. أنا أحب بلدك."

سأل أندرو: "ما سبب زيارتك؟"

ستيلمان . "في الواقع، لقد جئت إلى إنجلترا لأبدأ مستشفى صغيرًا - مثل مستشفاي في أمريكا. أنا أبنيه في تلال تشيلترن الجميلة، شمال غرب لندن. أتوقع أنك تعرف المنطقة."

انحنى أندرو إلى الأمام وقال: "هذا مثير للاهتمام! أود أن أرى مستشفاكم."

سأكون سعيداً بإطلاعكم على المكان حالما يصبح جاهزاً. سنعالج بشكل رئيسي أمراض الصدر، ولدي فكرة أو اثنتان جديدتان قد تثيران اهتمامكم.

"حقا؟ أخبرني عنهم."

أمضوا معظم فترة ما بعد الظهر في مناقشة مستشفى ستيلمان الجديد.

غادر أندرو ستيلمان بشعور غريب من الإثارة. لكن عندما عاد إلى المنزل، وجد كريستين تقرأ كتاب صلاة؛ ولسبب ما لم يستطع تفسيره، أزعجه هذا الأمر. صرخ قائلاً: "يا إلهي! أليس لديكِ ما هو أفضل لتفعليه؟"

ما الخطب؟ كنت أقرأ كتاب صلاتي قبل أن ألتقي بك.

أوه، هل فعلت ذلك؟ حسنًا، دعني أخبرك بهذا: أنت أحمق!

«ربما. لكنني أفضل أن أكون حمقاء وأحافظ على كرامتي على أن أنجح دون كرامة!» وبجهد كبير، كتمت دموعها. ثم قالت بصوت خافت: «أندرو، ألا تعتقد أنه من الجيد أن أغيب لفترة قصيرة؟ لقد دعتني السيدة فوغان للإقامة معها لمدة أسبوعين أو ثلاثة. ألا تعتقد أنه من الأنسب أن أذهب؟»

"أجل! اذهب! اذهب فوراً!" ثم استدار وغادر الغرفة.

الفصل الحادي والثلاثون - ماري بولاند

كان غياب كريستين في البداية مصدر ارتياح لأندرو. ثم بدأ يتساءل عما تفعله، ويتطلع إلى عودتها. ورغم أنه كان يقول لنفسه إنه أصبح رجلاً حراً، إلا أنه كان يشعر بنفس الشعور بالوحدة الذي انتابه في أبيرالاو عندما ذهبت كريستين للإقامة مع عمتها.

التقى إيفوري وفريدي وديدمان مرتين أو ثلاث. كما قاد سيارته إلى تلال تشيلترن لزيارة مستشفى ستيلمان الجديد. وأصبح هو وستيلمان صديقين حميمين. لكن صداقته مع ستيلمان لم تُخفف عنه شعوره بالوحدة.

وفي النهاية، اتصل أندرو بفرانسيس لورانس وسألها: "هل ترغبين في القيادة إلى الريف وتناول العشاء معي مساء الغد؟"

طمأنه صوتها. "سيكون ذلك لطيفاً للغاية."

وفي مساء اليوم التالي، توجهوا بالسيارة إلى بلدة ريفية صغيرة، حيث تناولوا العشاء في فندق على ضفاف النهر.

علقت فرانسيس قائلة: "لقد عرفنا بعضنا البعض لفترة طويلة، لكن هذه هي المرة الأولى التي تطلب مني فيها الخروج معك."

هل أنت نادم على مجيئك؟

ابتسمت.

هل يعلم زوجك أننا ...؟

رفعت رأسها وقالت: "ألا تفهم؟ أنا وجاك صديقان حميمان. لكننا..." ثم توقفت فجأة. واقترحت: "هيا نرقص".

رقصا. شعر أندرو بشعور غريب من المتعة وهو يحملها بين ذراعيه. وعندما عادا إلى طاولتهما، سألها بتردد: "لماذا كنتِ لطيفة معي إلى هذا الحد؟"

بدا سؤاله مسلياً لها. "أنتِ جذابة للغاية. وأكثر ما يعجبني فيكِ هو أنكِ لا تدركين ذلك!"

لا، كن جاداً!

ضحكت وقالت: "الجو حار هنا! هيا بنا نخرج وننظر إلى ضوء القمر على النهر."

ساروا نحو النهر وجلسوا على مقعد. نظرت إلى القمر وهو يضيء على الماء. قالت: "يا لها من ليلة جميلة!"

قبلها. كانت شفتاها دافئتين.

ابتسمت وقالت: "كان ذلك لطيفاً للغاية - لكنه كان سيئاً للغاية!"

همس قائلًا: "بإمكاني أن أفعل أفضل من ذلك". شعر بالحرج والخجل. تمنى لو يضمها إلى صدره. لكن فجأةً، لمح صورة باهتة لوجه كريستين المتعب والحزين من الماء. أثار ذلك قلقه وانزعاجه. فقبّل فرانسيس مرة أخرى.

قالت: "لقد استغرقت وقتاً طويلاً للقيام بذلك! والآن يا دكتور، أعتقد أنه يجب علينا العودة إلى المنزل."

عادوا بالسيارة إلى لندن في صمت. لم يكن أندرو سعيدًا، بل كان يكره نفسه. حاول أن ينسى كريستين، لكنه لم يستطع. عندما وصلوا إلى منزل السيدة لورانس، ترجّل من السيارة وفتح لها الباب دون أن ينبس ببنت شفة.

دعته قائلة: "تفضل بالدخول".

توقف للحظة. "لقد تأخر الوقت كثيراً، أليس كذلك؟"

دخلت إلى الداخل دون أن تجيب. فتبعها.

بعد ثلاثة أيام، جلس أندرو في مكتبه في ويست إند، يشعر بالتعب والبؤس.

فجأة دخلت الممرضة شارب. "هناك رجل يريد مقابلتك - السيد بولاند. لقد أخبرته أنه سيتعين عليه الانتظار."

«بولاند؟» كرر أندرو الاسم بتعب، وكأنه لم يسمعه من قبل. ثم أشرق وجهه فجأة. «كون بولاند؟ أدخليه يا ممرضة! فوراً!»

"لكن هناك مريض ينتظر رؤيتك."

صرخ قائلاً: "لا تهتموا بذلك! افعلوا ما أقوله!"

انزعجت الممرضة شارب من مخاطبتها بتلك الطريقة، فألقت نظرة خاطفة على أندرو وخرجت من الغرفة. وبعد دقيقة، أدخلت بولاند.

"يا إلهي، كون!" صاح أندرو وهو يقفز من على كرسيه.

صرخ كون قائلاً: "مرحباً! مرحباً!"، ثم تقدم مسرعاً لمصافحة أندرو. "يا إلهي، مانسون، من دواعي سروري رؤيتك مجدداً! تبدو بصحة جيدة! حسناً، حسناً، هذه عيادة راقية!" نظر إلى الممرضة شارب التي كانت تنظر إليه بازدراء. "هذه الممرضة رفضت استقبالي في البداية!"

استدارت الممرضة شارب وخرجت من الغرفة.

بعد مغادرتها، تغيرت طريقة كون. قال: "اسمعي يا مانسون، لقد جئتُ إليكِ بشأن ابنتي ماري. إنها مريضة. كان ليويلين يعتني بها، لكنه - حسنًا، لا فائدة منه." غضب كون فجأة. "يقول إن ماري مصابة

بالسل ولا شفاء لها. اسمع يا مانسون، هل يمكنك أن تفعل شيئًا من أجلي؟ أعلم أنك طبيب ناجح الآن، لكن - هل يمكنك فحص ماري؟ لدي ثقة كبيرة بك - وكذلك ماري."

كان أندرو قلقاً. قال لكون : "ماري - يا لها من فتاة مسكينة! سأفعل كل ما بوسعي من أجلها - كل شيء".

في تلك اللحظة، دخلت الممرضة شارب. وأخبرته قائلة: "خمسة مرضى ينتظرون رؤيتك الآن يا دكتور مانسون".

لم يكترث أندرو، بل استمر في الحديث مع كون . ودعا بولاند للبقاء معه لبضعة أيام، فقبل بولاند دعوته بفرح.

ساعدت روح كون المرحة أندرو على نسيان مشاكله مع كريستين. عندما عادت يوم الجمعة، اصطحب أندرو كون معه إلى محطة القطار لمقابلتها. كان يخشى مقابلة كريستين بمفرده بعد كل ما حدث، وكان يأمل أن يُسهّل وجود كون الأمور عليهما.

"مرحباً يا كريس!" نادى أندرو بمرحٍ عندما نزلت من القطار. "انظري من هنا! كون! إنه يقيم معنا يا كريس! هل استمتعتِ بوقتكِ؟"

فوجئت كريستين بالترحيب الحار الذي حظيت به. كانت تخشى ألا تجد من يستقبلها على الإطلاق! جلست في المقعد الخلفي للسيارة مع كون، وتحدثت بحماس.

قالت عندما وصلوا إلى المنزل: "أوه، أنا سعيدة بالعودة إلى المنزل!" ثم أخذت نفساً عميقاً. "هل اشتقت إليّ يا أندرو؟"

"اشتقت إليك؟ بالتأكيد اشتقت إليك."

بعد دقائق، قال أندرو، الذي كان لا يزال يشعر بالحرج، إنه يجب عليه زيارة مريضة، وغادر المنزل على عجل. قال لنفسه وهو يركب سيارته: "الحمد لله أن هذا انتهى! أنا متأكد من أنها لا تشك في فرانسيس. هذا كل ما يهم في الوقت الحالي."

أثناء غيابه، أجرى كون حديثاً مطولاً مع كريستين حول صحة ماري. شعرت كريستين بقلق بالغ، ونصحت كون بالاتصال بماري وإخبارها بالقدوم إلى لندن فوراً.

عندما وصلت ماري في اليوم التالي، صُدم أندرو من نحافة وجهها وجسدها. فأمرها بالذهاب إلى الفراش، وفحص صدرها. وبعد خمس عشرة دقيقة، عاد إلى غرفة المعيشة وهو يبدو عليه القلق الشديد.

قال له: "أخشى يا كون أن ليوبلين كان محقاً. ماري مصابة بمرض السل. لكن لا تقلق. المرض في مراحله المبكرة."

هل تقصد أنها يمكن علاجها؟

نعم. لكن يجب أن تدخل المستشفى لتلقي علاج متخصص. يوجد طبيب في مستشفى فيكتوريا، الدكتور ثوروغود، أجرى دراسة متخصصة حول هذا المرض. سأطلب منه علاجها. وإذا حضرت إلى مستشفاي ، فسأتمكن من متابعة تطور حالتها.

قال كون: "مانسون، أنت صديق حقيقي!"

بعد ظهر يوم السبت، تم إدخال ماري إلى مستشفى فيكتوريا، وعاد كون إلى أبيرالاو.

قال أندرو بعد أن غادر: "كم هو جميل أن نكون معًا مرة أخرى يا كريس!"

بدا صادقاً. لكن لسبب ما، لم تصدق كريستين أنه كان يعني ما يقول. صعدت إلى غرفتها في الطابق العلوي وبكت في سرها: "يا إلهي، متى وكيف سينتهي هذا؟"

الفصل الثاني والثلاثون - عملية هاري فيدلر

كانت أحلام أندرو بالنجاح والثروة تتحقق. كان عمله يزدهر أسبوعًا بعد أسبوع. كانت علاقاته التجارية مع هامسون وإيفوري وثيقة للغاية، وتدر عليه أرباحًا طائلة. وكان ديدمان يُحيل إليه المرضى أيضًا. والآن، عرض عليه لو روي، صاحب مصنع أغذية ضخم، منصب مستشار طبي لشركته. شعر أندرو بثقة مفرطة في نفسه؛ فهو لا يخطئ أبدًا.

ثم - فجأة ودون سابق إنذار - تغيرت حياته بأكملها.

في إحدى أمسيات شهر نوفمبر، جاءت زوجة صانع أحذية إلى منزله. كان اسمها السيدة فيدلر، وهي امرأة صغيرة مرحة في منتصف العمر كان أندرو يعرفها جيداً.

قالت: "يا دكتور، زوجي مريض. لقد كان مريضاً لعدة أسابيع، لكنه رفض المجيء إليك لأنه لم يرد أن يزعجك. هل يمكنك الاتصال به ورؤيته يا دكتور؟"

عندما اتصل أندرو في صباح اليوم التالي، كان هاري فيدلر طريح الفراش يعاني من ألم شديد في معدته. فحصه أندرو ووجد أنه، على الرغم من أن حالته ليست خطيرة، إلا أنه بحاجة إلى عملية جراحية عاجلة. شرح أندرو ذلك لعائلة فيدلر، الذين طلبوا منه الترتيب لإجراء العملية على يد جراح ماهر في دار رعاية المسنين.

في ذلك المساء، اتصل أندرو بإيفوري هاتفياً. قال: "أريدك أن تجري عملية جراحية في المعدة يا إيفوري. المريض صانع أحذية، ولديه القليل من المال، لذا سأكون ممتناً لو خفضت أجرك له."

كان إيفوري لطيفاً. ناقشوا القضية لعدة دقائق؛ ثم اتصل أندرو بالسيدة فيدلر.

" لقد وافق السيد إيفوري، وهو جراح في ويست إند، على إجراء هذه العملية مقابل ثلاثين جنيهاً إسترلينياً. عادةً ما يتقاضى مئة جنيه إسترليني. لذا أعتقد أن هذا السعر مُرضٍ للغاية."

"نعم يا دكتور، نعم." بدا صوتها قلقاً. "لطفك كبيرٌ جداً لترتيب هذا الأمر لنا. سنجد المال بطريقةٍ ما."

بعد بضعة أيام، أجرى إيفوري العملية في دار رعاية خاصة. كان فيدلر مبتهجًا للغاية. قبل أن يُخدر، ابتسم لأندرو وقال: "سأشعر بتحسن بعد هذا". وفي اللحظة التالية كان نائمًا.

أخذ إيفوري مشرطه الجراحي وأحدث شقًا طويلًا في معدة فيدلر. فجأةً، انبثقت من الجرح كتلة لحمية كبيرة مليئة بمادة سامة، ككرة مبللة. كانت هذه الكتلة سبب ألم فيدلر. حاول إيفوري الإمساك بالكرة وقطعها من داخل المعدة. لا بد أنه حاول عشرين مرة، لكن في كل مرة كانت الكرة تنزلق من يده.

نظر أندرو إلى إيفوري بانزعاج، متسائلاً: "ماذا يفعل هذا الرجل؟ لماذا يجد الأمر صعباً إلى هذا الحد؟" فجأة أدرك أن هذه أول عملية جراحية في المعدة يجريها إيفوري له. اقترب من طاولة العمليات. لم يبدُ على أحد القلق. كان إيفوري، والطبيب الذي أجرى التخدير لفيدلر، والممرضات جميعهم هادئين تماماً. لكن لسبب ما، انتاب أندرو شعور بالخوف.

في النهاية، تخلى إيفوري عن المحاولة، وقام بقطع ثقب في الكيس نفسه. انفجر الكيس على الفور، وتسربت المادة السامة إلى جرح المعدة.

راقب أندرو المشهد باشمئزاز. لكن إيفوري لم يكترث. قام بتنظيف بعض السم، ثم حاول، دون جدوى، إيقاف النزيف. انتاب أندرو غضب عارم. فكر قائلًا: "يا إلهي، هذا الرجل ليس جراحًا! إنه لا يفقه شيئًا فيما يفعله."

قال الطبيب الثاني بصوت هادئ: "أخشى أنه يحتضر يا إيفوري ".

لم يُجب إيفوري، ولم يبدُ أنه يسمع.

قال الطبيب الآخر: "نعم، لقد مات الآن".

وضع إيفوري أدواته جانباً. وعلق قائلاً: "يا للأسف! لا بد أن صدمة العملية قد قتلته".

لم يستطع أندرو الكلام. تذكر فجأة السيدة فيدلر، التي كانت تنتظر في الطابق السفلي.

قرأت إيفوري أفكاره. قال: "لا تقلق يا مانسون، سأتحدث إلى تلك المرأة الصغيرة نيابةً عنك. تعال معي."

تبعه أندرو إلى أسفل الدرج إلى الغرفة التي كانت تنتظر فيها السيدة فيدلر.

قال إيفوري وهو يضع يده برفق على كتفها: "سيدتي العزيزة، أخشى أن لدينا أخباراً سيئة لكِ. زوجكِ المسكين، على الرغم من كل ما فعلناه من أجله-"

شحب وجهها. وهمست قائلة: "هاري!"

وتابع إيفوري بحزن: "لم يكن أحد ليتمكن من إنقاذه. وحتى لو كان قد نجا-"

نظرت إليه وقالت: "أفهم. شكراً لك يا دكتور على لطفك". ثم بدأت بالبكاء.

خرج من الغرفة، وتبعه أندرو مرة أخرى.

قال إيفوري ببرود: "حسنًا، لقد انتهى الأمر! أنا آسف يا مانسون، لم أتوقع حدوث ذلك. بالطبع، لم يمت الرجل أثناء العملية، فقد انتهيت قبل وفاته. لذا لا داعي للقلق، ولن تكون هناك حاجة لأي تحقيق."

كان أندرو يرتجف من الغضب. صرخ قائلاً: "أوه، توقف عن الكلام! لقد قتلته! أنت لست جراحاً! لم تكن يوماً ولن تكون جراحاً أبداً!"

نظر إيفوري إلى أندرو نظرة حادة. "أنصحك ألا تتحدث بهذه الطريقة يا مانسون!"

"هذه هي الحقيقة! يا إلهي، لماذا وثقت بك؟ لماذا؟"

«اصمت أيها الأحمق!»

كان أندرو يكاد يفقد بصره من شدة الغضب. "أنت تعلم أنها الحقيقة. لقد أجريت العملية بشكل سيء للغاية لدرجة أنها كادت أن تكون جريمة قتل!"

للحظة، بدا وكأن إيفوري سيضربه. لكنه، بجهد كبير، سيطر على نفسه، وخرج من الغرفة.

بقلبٍ حزين ورأسٍ يؤلمه، عاد أندرو إلى منزله. عاد في الوقت المناسب تمامًا لإجراء عمليته الجراحية المسائية. كان كثيرون ينتظرون رؤيته. نظر إليهم وفكر: "نفس الوجوه السخيفة! لا يوجد شيء خاطئ في معظمهم!"

ثم دخل غرفته وبدأ مهامه. محاولًا التصرف بأسلوبه الودود المعتاد، تبادل أندرو أطراف الحديث بلطف مع كل مريض، ثم أخبر كريستين بالدواء الذي يجب أن تعطيه إياه. بعد الجراحة، جلس ليراجع حساباته، كما كانت عادته كل مساء. لكنه لم يستطع التفكير بوضوح.

سألته كريستين: "حسنًا، كم ربحت من المال اليوم؟"

لم يُجب، بل لم يستطع. عندما غادرت الغرفة، جلس ساكنًا تمامًا، كمن في حلم. ظل يردد: "يا إلهي، ماذا فعلت؟ ماذا فعلت؟". فجأةً، لاحظ كيس النقود الذي دفعه له مرضاه مقابل خدماته ذلك اليوم. اجتاحته موجة غضب أخرى. التقط الكيس ورماه في أرجاء الغرفة.

قفز من على كرسيه. كان يشعر بحرارة شديدة، ويكاد لا يستطيع التنفس. ركض إلى الخارج إلى الجزء الخلفي من المنزل، وتقيأ.

الفصل الثالث والثلاثون - تغيير في القلب

لم يستطع أندرو النوم تلك الليلة. وفي صباح اليوم التالي، شعر وكأنه على وشك الموت. لم يتناول الفطور، بل اكتفى بشرب فنجان قهوة واحد. كان أول ما فكر فيه حينها هو ماري بولاند. ترجّل من سيارته، وانطلق مباشرة إلى مستشفى فيكتوريا للاطمئنان عليها.

قالت عندما دخل غرفتها: "صباح الخير. أليست أزهاري جميلة؟ أحضرتها كريستين أمس."

جلس على سريرها ونظر إليها. بدت أنحف! "نعم، إنها أزهار جميلة. كيف حالك يا ماري؟"

"حسناً، لا بأس." تجنبت النظر إليه. "على أي حال، ستجعلني أشعر بتحسن قريباً!"

زادت ثقتها به من بؤسه. فكر قائلاً: "إذا أصاب أي مكروه إياري، فلن أغفر لنفسي أبداً".

في تلك اللحظة، دخل الدكتور ثوروغود. قال بلطف: "صباح الخير يا مانسون. ما بك؟ هل أنت مريض؟"

نهض أندرو وقال: "أنا بخير، شكراً لك".

نظر إليه الدكتور ثوروغود نظرة غريبة، ثم التفت إلى ماري. فحصا ماري معًا، ثم توجها إلى زاوية من الغرفة حيث لا يمكن سماعهما، وناقشا حالتها.

قال أندرو: "يبدو لي أن تقدمها غير مرضٍ على الإطلاق".

الدكتور ثوروغود يديه. "أوه، لا أعرف يا مانسون."

'درجة حرارتها مرتفعة.'

نعم. لكن-

هذه القضية مهمة جداً بالنسبة لي. لا أريد أن أتدخل في شؤونك الخاصة، لكنني أعتقد أنه يجب عليك إجراء عملية جراحية في رئتها. لقد اقترحت هذا الأمر عندما دخلت ماري إلى المستشفى لأول مرة.

انزعج ثوروغود. قال: "أنا لا أتفق معك. أنا آسف يا مانسون، ولكن يجب أن تسمح لي بمعالجة هذه القضية بالطريقة التي أراها الأنسب."

شعر أندرو بضعف شديد يمنعه من المجادلة. عاد إلى ماري، وأخبرها أنه سيتصل لرؤيتها مرة أخرى في اليوم التالي، ثم غادر المستشفى.

كانت الساعة الآن تقارب الواحدة. ذهب إلى مطعم رخيص، حيث شرب فنجانًا آخر من القهوة لكنه لم يأكل شيئًا، ثم قاد سيارته إلى مكتبه في شارع ويلبيك، حيث سألته الممرضة شارب، التي كانت في حالة مزاجية سيئة، عما إذا كان يشعر بالمرض.

كان أول مريض له شابًا يعاني من ضعف في القلب. أجرى أندرو له فحصًا دقيقًا، ثم طرح عليه أسئلة كثيرة قبل أن يقرر العلاج المناسب. عندما حاول الشاب، في نهاية الفحص، أن يدفع له مقابل خدماته، قال أندرو بسرعة: "من فضلك لا تدفع لي الآن. انتظر حتى أرسل لك فاتورة". شعرت الشاب براحة غريبة عندما علم أنه لن يرسل فاتورة أبدًا، وأنه فقد رغبته في المال وأصبح يكرهه.

كانت مريضته الثانية امرأة ثرية تبلغ من العمر خمسة وأربعين عاماً، تُدعى الآنسة باسدن، وكانت تزوره كل بضعة أيام. بدأت، بابتسامة رقيقة، تخبره عن آلامها وأوجاعها الوهمية.

قاطعها أندرو قائلاً: "لماذا أتيتِ إليّ يا آنسة باسدن ؟"

توقفت في منتصف الجملة ونظرت إليه بدهشة.

قال: "أوه، أعرف - أنا المذنب. لقد طلبت منك المجيء. لكن لا يوجد شيء خاطئ بك."

"دكتور مانسون!"

قال: "أنا آسف، لا أستطيع تقديم أي خدمة أخرى لكِ يا آنسة باسدن. لكنني متأكد من وجود العديد من الأطباء الآخرين في هذه المنطقة الذين سيسعدون بإخبارك بأنكِ مريضة، وتقديم علاجات باهظة الثمن لكِ."

فتحت فمها لتتكلم، لكن الكلمات لم تخرج. ثم خرجت مسرعة من الغرفة.

كان أندرو على وشك العودة إلى المنزل، عندما دخلت الممرضة شارب مبتسمة. "دكتور هامسون، سأراك!"

في اللحظة التالية، دخل فريدي. لم يكن أسلوبه ودودًا إلى هذا الحد من قبل. قال: "اسمع يا مانسون، لقد سمعتُ عن تلك العملية بالأمس، وأعتقد أنك كنت محقًا تمامًا في غضبك من إيفوري. لقد كان أمرًا مُخزيًا! في الحقيقة يا صديقي، أنا مستاءٌ جدًا من إيفوري وديدمان. لقد كنا نعمل معًا - نتبادل المرضى - لكنهم لم يدفعوا لي نصيبي العادل من المال. إنهم محتالون! يمكنني أن أخبرك بالكثير من الأشياء الأخرى عنهم أيضًا!" توقف هامسون للحظة. "اسمع يا صديقي، لديّ فكرة! دعنا نعمل معًا - أنا وأنت - بدون إيفوري وديدمان . لسنا بحاجة إليهما! أنا أعرف كل الحيل - كل طرق جني المال. وأنت طبيبٌ ذكي. إذا عملنا معًا، سنجني ثروة طائلة!"

جلس أندرو ساكناً تماماً. لم يشعر بأي غضب تجاه هامسون، بل بكراهية شديدة لنفسه. وأخيراً قال: "أنا آسف، لا أستطيع العمل معك يا فريدي. لقد سئمت من كل هذا! هناك الكثير من الأطباء الذين لا يفكرون إلا في جني المال."

احمرّ وجه هامسون. "ما هذا؟" قفز فجأة. "هل جننت؟"

ربما. لكنني سأتوقف عن التفكير في المال والنجاح. لا ينبغي للطبيب أن يحاول جني المال من المرضى.

صرخ هامسون قائلاً: "أنت أحمق!" ثم استدار وخرج مسرعاً من الغرفة.

نهض أندرو وقاد سيارته عائداً إلى المنزل.

كانت كريستين في غرفة المعيشة. جعله منظر وجهها الشاحب والحزين يرتجف. قالت: "لقد كان يومك حافلاً. هل ترغب في تناول بعض الشاي قبل العملية؟"

وقال: "لن تُجرى أي عملية جراحية هذا المساء".

نظرت إليه بدهشة. "لكن اليوم هو السبت - أكثر لياليك ازدحاماً!"

لم يُجب.

سألت: "لماذا، ما الأمر؟"

أندرو أعطِ ها واحد انظر . "كريستين !" قال قال . هو ركض إلى الأمام و ركع في ها أقدام ، تبكي .

الفصل الرابع والثلاثون - زيارة إلى السيد ستيلمان

في صباح اليوم التالي، الذي كان يوم الأحد، استلقى أندرو في السرير بجانب كريستين، يتحدث معها ويفضفض لها عن مشاعره بالطريقة التي اعتاد أن يفعلها.

"لماذا فعلت ذلك؟ هل كنت مجنوناً يا كريس؟ أوه، كريس. أنا آسف!"

ابتسمت، ابتسمت بالفعل.

"حسنًا،" تابع أندرو. "يجب أن نغادر من هنا الآن - نبيع العيادة. أوه، كريس، لقد فكرت في فكرة ممتازة."

نعم يا عزيزتي؟ ما الأمر؟

"الانضمام إلى ديني وهوب! كلٌّ منا يمتلك معرفة متخصصة في فرع مختلف من الطب. لذا يمكننا معًا القيام بعمل ذي قيمة عظيمة - عمل نزيه، وليس مجرد جني المال. لطالما قلنا أنا وديني إن الطبيب الذي يعمل بمفرده يحاول القيام بالكثير. أعني - قد يكون لديه معرفة واسعة في مجال ما، لكنه قليل المعرفة في مجال آخر. الآن، إذا عملنا نحن الثلاثة معًا، يمكننا تبادل معارفنا وتقديم خدمة طبية مفيدة حقًا لمرضانا. ديني جراح ويمكنه إجراء العمليات؛ وأنا أقوم بالأعمال العامة للعيادة؛ وهوب تُجري الفحوصات العلمية وتقدم لنا المشورة بشأن مشاكلنا."

نظرت إليه كريستين بعيون لامعة. "يا إلهي، كم هو جميل أن أسمعك تتحدث هكذا! يا إلهي، أنا سعيدة للغاية!"

قال أندرو بحماس: "أعتقد أن ديني وهوب سينضمان إليّ".

قفز من السرير وبدأ يمشي جيئة وذهاباً في الغرفة. ثم توقف فجأة. قال: "كريس، هناك أمرٌ يجب أن أفعله فوراً. أنا قلقٌ جداً على ماري بولاند. حالتها لا تتحسن في مستشفى فيكتوريا. ثوروغود لا يفهم حالتها. أريد أن أنقل ماري من مستشفى فيكتوريا وأرسلها إلى مستشفى ستيلمان الجديد!"

" ستيلمان ؟"

نعم. إنه أفضل مستشفى رأيته على الإطلاق. أنوي الذهاب بالسيارة اليوم لرؤية ستيلمان ومحاولة إقناعه بقبول ماري! هل ستأتي معي؟

قالت: "سنغادر حالما تكونين مستعدة!"

بعد أن ارتدى ملابسه، نزل أندرو إلى الطابق السفلي وكتب رسائل مطولة إلى ديني وهوب. ثم، بعد تناول وجبة خفيفة، انطلق هو وكريستين بالسيارة إلى تلال تشيلترن. لقد مرّ وقت طويل منذ أن شعرا بمثل هذه السعادة معًا.

وصلوا إلى المستشفى في الساعة الثالثة. استقبلهم ستيلمان بحفاوة وأطلعهم على مستشفاه، الذي كان صغيراً ولكنه مريح ومليء بالمعدات الحديثة.

بعد ذلك، تناولوا الشاي مع ستيلمان، ثم طلب أندرو منه شيئًا. قال بسرعة: "أريد أن أسألك شيئًا يا سيد ستيلمان. هل يمكنك أن تتولى قضية لي؟ فتاة مصابة بمرض السل في مراحله المبكرة. إنها ابنة صديق لي، وحالتها لا تتحسن في مستشفى فيكتوريا."

ابتسم ستيلمان. "بالتأكيد لا تريدون إحالة حالة إليّ! الأطباء الإنجليز لا يعترفون بي! تذكروا أنني لا أملك أي مؤهلات طبية! لا يمكن الوثوق بي! من المرجح أن أتسبب في الوفاة أكثر من الشفاء!"

لم يبتسم أندرو. "أرجوك لا تمزح يا سيد ستيلمان. أنا جاد! أنا قلق للغاية بشأن هذه الفتاة."

أخشى أنه لا يوجد سرير لها يا صديقتي. لديّ قائمة بأسماء نساء ينتظرن بالفعل دخول المستشفى. مع أن الأطباء لا يحبونني، إلا أن بعض الناس...

"لكن يا سيد ستيلمان،" قاطعه أندرو، "كنت أعتمد عليك. إذا لم تقبل ماري، فلن تتعافى أبداً في مكانها الحالي."

انحنى ستيلمان إلى الأمام وأخذ قطعة من الكعكة. قال: "أرى أنكِ قلقة حقًا. حسنًا، سأساعدكِ. أحضري ماري إلى هنا يوم الأربعاء القادم وسأجد لها سريرًا. سأبذل قصارى جهدي لعلاجها."

أشرق وجه أندرو. "أنا - لا أستطيع أن أشكرك بما فيه الكفاية!"

ستيلمان : "إذن لا تحاول!"

الفصل الخامس والثلاثون - ماري تذهب إلى السيد ستيلمان

في صباح اليوم التالي، استيقظ أندرو مبكرًا بعد ليلة نوم هانئة. كان يشعر بالحماس والاستعداد لأي شيء. توجه مباشرةً إلى الهاتف وأصدر أوامره لشركة عقارية طبية ببيع عيادته. قال: "بيعوها بسعر عادل. لن أقبل بأكثر من قيمتها الحقيقية. الناس في هذه المنطقة ليسوا ميسورين، وقد لا يحقق الطبيب التالي نفس النجاح الذي حققته". عند الغداء، سلمت كريستين أندرو رسالتين. كانتا ردًا على رسالتيه إلى ديني وهوب. جاء في رسالة ديني القصيرة: "مهتم. انتظرني غدًا مساءً". أما رسالة هوب، فقد أعربت أيضًا عن اهتمامها، وإن كانت كلماتها تعكس روح الدعابة المعهودة لديها.

بعد الغداء، توجه أندرو بالسيارة إلى مستشفى فيكتوريا لرؤية ماري بولاند.

جلس بجانب سرير ماري، وأخبرها بالترتيبات الجديدة التي اتخذها. ووعدها قائلاً: "ستحبين المستشفى الآخر يا ماري، كثيراً". وأضاف: "لا أريد أن أسبب لكِ أي مشاكل هنا، لذا أرجو منكِ أن تتظاهري بأن رغبتكِ هي المغادرة، وأن تقولي إنكِ تريدين العودة إلى المنزل. ثم سأصطحبكِ يوم الأربعاء وأقودكِ إلى مستشفى ستيلمان ".

عاد أندرو إلى منزله بشعورٍ بأنه بدأ يُصحّح أخطاءه. في ذلك المساء، في عيادته، ميّز بين المرضى الذين يعانون فعلاً من المرض والذين يتوهمون ذلك. وكرر مراراً وتكراراً بحزم: "يجب أن تكون هذه زيارتك الأخيرة. أنت الآن أفضل حالاً. لن يفيدك الاستمرار في تناول الدواء!"

كان من المدهش كم منحه ذلك من راحة. بعد الجراحة، ذهب إلى كريستين وهو يشعر بأنه أصغر سناً بعدة سنوات.

في تلك اللحظة رنّ الهاتف. ذهبت كريستين للرد. وعندما عادت، بدت قلقة مرة أخرى. قالت له: "أحدهم يريد التحدث إليك".

«من؟» أدرك فجأة أنها فرانسيس لورانس. قال: «أخبرها أنني خرجت». «لا، لا تقل ذلك!» تقدم بسرعة. «سأتحدث معها بنفسي».

عاد بعد خمس دقائق وقال: "انتهى الأمر أيضاً! لن أراها مرة أخرى!"

ابتسمت كريستين بسعادة دون أن تجيب.

في الليلة التالية، حضر ديني العشاء. أحضر رسالة من هوب، يعتذر فيها عن موعده الآخر. قال ديني وهو يطفئ غليونه: "قال إن لديه عملاً . لكنني أعتقد أن موعده في الحقيقة مع شابة. لن أتفاجأ إذا قرر صديقنا هوب الزواج منها."

سأل أندرو بسرعة: "هل قال أي شيء عن فكرتي؟"

نعم، إنه مهتم. وأنا كذلك. أنا مندهش من أن رجلاً بعقلك المحدود لديه القدرة على التفكير في مثل هذه الخطة الممتازة! أخبرني عنها.

شرح أندرو خطته بحماس متزايد. ثم بدأوا في مناقشة التفاصيل العملية.

قال ديني: "في رأيي، علينا اختيار مدينة يبلغ عدد سكانها حوالي 20 ألف نسمة، مدينة صناعية يتنافس فيها أربعة أو خمسة أطباء. في مثل هذه المدينة، ستتاح لنا أفضل فرصة لإظهار ميزة تعاون الأطباء ذوي المؤهلات الطبية المختلفة. قد نخلق عداوات في البداية، لكننا سننجح في النهاية. ربما، بعد فترة، نستطيع إنشاء مستشفانا الخاص. نعم، إنها فكرة جيدة." شعر ديني فجأة بنظرات كريستين عليه، فابتسم وقال: "وما رأيكِ أنتِ يا كريستين؟ فكرة مجنونة، أليس كذلك؟"

أجابت: "نعم، ولكن في بعض الأحيان تكون الأشياء المجنونة هي الأفضل!"

صرخ أندرو وهو يضرب الطاولة بيده: "أنت محق يا كريس! يجب أن يكون هدفنا أن نكون قدوة في الممارسة الطبية!"

لقد تحدثوا حتى وقت متأخر من الليل لدرجة أن ديني فاته القطار الأخير إلى المنزل واضطر إلى قضاء الليلة مع أندرو وكريستين.

في يوم الأربعاء التالي - حين كان الدكتور لوري على وشك شراء عيادته - ذهب أندرو إلى مستشفى فيكتوريا ليصطحب ماري بولاند. سارت الأمور كما خطط لها تمامًا. لم يُبدِ أحد أي اعتراض على مغادرة ماري للمستشفى، وفي تمام الساعة الثانية ظهرًا وصل أندرو برفقة الممرضة شارب لاصطحابها.

كانت الممرضة شارب في حالة مزاجية سيئة لأن أندرو أخبرها للتو أنه ينوي إغلاق عيادته في شارع ويلبيك، وأبلغها قبل شهر. جلست مع ماري في المقعد الخلفي للسيارة ولم تنطق بكلمة واحدة طوال الرحلة.

وصلوا إلى مستشفى ستيلمان في تمام الساعة الثالثة والنصف. وما إن استقرت ماري في سريرها، حتى ذهب ستيلمان إلى غرفتها لفحصها. وعندما دخل هو وأندرو الغرفة، بدت الممرضة شارب متفاجئة ومنزعجة. فحص ستيلمان ماري بدقة متناهية، ثم أخرج أندرو من الغرفة.

قال: "إنها مريضة جداً. يجب أن أجري لها عملية جراحية في رئتها على الفور. كان ينبغي إجراؤها قبل عدة أسابيع!"

بينما كان ستيلمان يستعد للعملية، عاد أندرو وأخبر ماري بقرارهما. طمأنها أندرو قائلاً: "لا داعي للقلق يا ماري، لن تشعري بأي ألم. سأكون في الغرفة، وسأحرص على سلامتك".

بعد عشر دقائق، بدأ ستيلمان العملية. عمل بسرعة ومهارة فائقة، مستخدماً عدة أفكار جديدة اكتشفها في أمريكا. لم يشهد أندرو قط عملية أكثر مهارة.

عندما انتهى الأمر، وعادت ماري إلى سريرها، دخل أندرو لرؤيتها. "حسنًا، هل تشعرين بسعادة أكبر الآن؟"

ابتسمت وقالت: "كنت محقاً - لم يكن هناك ما يدعو للقلق!"

وعدها قائلاً: "كل ما تحتاجينه الآن هو الراحة. ستعودين إلى صحتك قريباً - ستشفين تماماً!"

الفصل السادس والثلاثون - الجبن من السيدة سميث

كانت الساعة تقارب السابعة عندما غادر أندرو مستشفى ستيلمان. شعر الآن براحة البال بشأن ماري. أدرك أندرو أن أطباء آخرين قد يشككون في قراره بإرسال ماري إلى ستيلمان، لكنه لم يكترث. لقد فعل ما هو الأفضل للفتاة، وهذا كل ما يهمه.

قاد ببطء، مستمتعًا بهدوء المساء. جلست الممرضة شارب مجددًا في المقعد الخلفي للسيارة، صامتة. وعندما وصلوا إلى لندن، أوصلها إلى المكان الذي أرادت النزول فيه، ثم عاد إلى منزله.

استقبلته كريستين بفرح في الردهة. كانت عيناها تلمعان. صاحت قائلة: "تم البيع! لقد اشترى الدكتور لوري العيادة!"

تبع كريستين إلى غرفة المعيشة، حيث كانت بقايا وجبة عشاءها موضوعة على الطاولة.

تابعت كريستين قائلة: "أليس هذا خبراً ساراً؟ لقد بعناه بسرعة كبيرة! كنت أفكر! لنذهب في إجازة! لقد قضينا وقتاً رائعاً..." ثم توقفت فجأة. "ما بكِ يا عزيزتي؟ تبدين غريبة جداً!"

ابتسم وجلس. "أشعر فجأة ببعض التعب - ربما لأنني لم أتناول العشاء."

صرخت قائلة: "ماذا! كنت أظن أن السيد ستيلمان قد أحضر لك العشاء." ثم نظرت إلى الطاولة وقالت: "لقد تناولت طعامي!"

'لا يهم!'

لكن الأمر مهم! انتظر هنا، وسأحضر لك بعض الطعام. هل ترغب في بعض الحساء - أو بيضة - أو ماذا؟

فكر قائلاً: "بيضة من فضلك يا كريس. وربما القليل من الجبن بعد ذلك."

انطلقت كريستين مسرعةً وأحضرت له طعامه. وبينما كان يأكل، جلست بجانبه تتحدث بحماس عن المستقبل، وعن خطط أندرو للعمل مع ديني وهوب. قالت: "أتعلم يا عزيزي، أشعر وكأننا نبدأ حياة جديدة، حياةً تشبه تلك التي اعتدنا عليها! يا إلهي، أنا سعيدة للغاية."

نظر إليها وقال: "هل أنتِ سعيدة حقاً يا كريس؟"

قبلته. "لم أشعر بالسعادة في حياتي كما أشعر بها الآن."

كان هناك صمت. دهن أندرو قطعة خبز بالزبدة، ثم رفع غطاء طبق ليأخذ منه الجبن. لكن الطبق كان فارغاً.

أطلقت كريستين صرخة خجل صغيرة على الفور. "آه، كنت أنوي شراء المزيد من الجبن من السيدة سميث اليوم!"

"لا بأس يا كريس."

"لكن الأمر ليس على ما يرام! أنا زوجة سيئة!" قفزت وهي تنظر إلى الساعة. "سأذهب الآن إلى السيدة سميث - قبل أن تغلق متجرها."

"أوه، لا تزعجني يا كريس، أنا-"

"أرجوك يا حبيبي!" أسكتته بمرح. "أريد أن أفعل ذلك. أريد ذلك لأنك تحب جبن السيدة سميث - وأنا أحبك!"

غادرت الغرفة قبل أن ينطق بكلمة أخرى. سمع خطواتها السريعة في الردهة، ثم صوت الباب الأمامي وهو يُفتح ويُغلق. ابتسم في نفسه، ثم استرخى على كرسيه منتظراً عودتها.

لقد غابت لفترة طويلة لدرجة أنه بدأ يفقد شهيته. فكر قائلاً: "لن أرغب في الجبن إذا لم تسرع! لا بد أنها تتحدث مع السيدة سميث".

فجأةً رنّ جرس الباب بقوة. نظر إلى الأعلى بدهشة، ودخل إلى الردهة. رنّ الجرس مرة أخرى، بقوة أكبر. فتح الباب الأمامي.

وقف حشد من الناس في الظلام خارج المنزل.

تقدم شرطي يعرفه جيداً، وهو يلهث بشدة. "يا دكتور، لقد وقع حادث! زوجتك ركضت - يا إلهي! لقد ركضت عبر الشارع؛ ودهستها حافلة..."

بدت أصابع جليدية وكأنها تخنق قلب أندرو. قبل أن يتمكن من الكلام، امتلأت القاعة بالناس - السيدة سميث، التي كانت تبكي؛ سائق الحافلة؛ شرطي آخر، وشخصان أو ثلاثة ممن شهدوا الحادث.

ثم حمل رجلان كريستين إلى الداخل. كانت تحمل في يدها علبة الجبن التي اشترتها للتو من السيدة سميث. وضعوها على السرير في عيادته.

الفصل السابع والثلاثون - خطط للمستقبل

انهار أندرو. لعدة أيام، لم يكن يعي ما يفعله. أمضى ديني ساعات طويلة معه كل يوم، لكن أندرو بدا وكأنه لا يدرك وجوده.

ذهب إلى جنازة كريستين مع ديني، ثم أمضى بقية اليوم في الشرب. كان يتنقل من غرفة إلى أخرى بخطوات متثاقلة، وهو يصرخ في نفسه: "أنت المسؤول عن موتها! هذا عقاب على جرائمك! لقد حاولتَ جني المال؛ وكان ذلك جريمة. الآن الله يعاقبك!"

تسلل إلى الطابق العلوي، وتوقف للحظة، ثم دخل غرفة نوم كريستين. كانت الغرفة صامتة، باردة، وخالية. على طاولة كانت حقيبتها. التقطها، وضمها إلى وجهه، ثم فتحها بيد مرتعشة. وجد بداخلها صورة قديمة له، والرسائل الصغيرة التي أرسلها له مرضاه الممتنون في أبيرالاو مع هدايا عيد الميلاد. لقد احتفظت بها طوال تلك السنوات! سقط على ركبتيه بجانب السرير وانخرط في البكاء.

لم يحاول ديني منعه من الشرب. ولأن الدكتور لوري كان يُدير العيادة بالفعل، وبالتالي لم تكن هناك حاجة لأندرو للعمل، رأى ديني أنه من الحكمة تركه وشأنه في الوقت الحالي. ولكن بعد حوالي أسبوع، اتخذ ديني إجراءً. قال ببساطة: "سنرحل".

لم يجادل أندرو ، ولم يسأل حتى إلى أين هم ذاهبون. في صمت، راقب ديني وهو يحزم حقيبة له. وبعد ساعة، كانوا في القطار متجهين إلى ويلز.

ذهبوا للإقامة في قرية منعزلة بجوار نهر جميل في الجبال.

قال ديني عندما وصلوا إلى فندقهم الصغير والمريح: "كنت آتي إلى هنا للصيد. أعتقد أن هذا المكان سيناسبنا".

في صباح اليوم التالي، اصطحب ديني أندرو في نزهة. كان يوماً جميلاً مشمساً، لكن أندرو، المتعب بعد ليلة بلا نوم، أراد العودة قبل أن يقطعا سوى بضعة كيلومترات. إلا أن ديني كان حازماً، فأجبر أندرو على المشي 12 كيلومتراً، وفي اليوم التالي زاد المسافة إلى 15 كيلومتراً. وبحلول نهاية الأسبوع، كانا يمشيان 20 كيلومتراً يومياً.

لم يتحدثا أثناء نزهاتهما. في البداية، لم يلحظ أندرو جمال الريف، لكنه بدأ تدريجيًا يستمتع بالغابات والأنهار والجبال. حسّنت الرياضة والهواء النقي من حالته الصحية، فبدأ يأكل وينام جيدًا، بل وعاد إلى الكلام. في البداية، كان يكتفي بتعليقات عابرة، ثم في أحد الأيام طلب من ديني أن يخبره بأخباره.

كان ديني ينتظر هذه اللحظة. قال لأندرو: "أنا وهوب أصبحنا الآن أحراراً. لقد تخلينا عن مناصبنا".

أشرق وجه أندرو. "استسلمت؟ إذن هذا يعني أننا..."

ابتسم ديني.

قال أندرو: "سأكون لائقاً للعمل مرة أخرى قريباً جداً".

في ذلك المساء، نظر ديني وأندرو إلى خريطة وحددا قائمة بالمدن المحتملة لبدء عيادتهما الجديدة. بعد بضعة أيام، ولدهشة أندرو، وصل هوب ليشارك في النقاشات. أطلق هوب نكاته المعتادة، فضحك أندرو بالفعل.

قال ديني: "بالطبع، كلنا مجانين تماماً! ليس لدينا الكثير من المال. وربما سنتشاجر. ولكن بطريقة ما..."

ويتمدد : "ربما سنقتل بعضنا البعض!"

غادرت هوب في صباح اليوم التالي. بعد الإفطار، خرج أندرو في نزهة بمفرده. كان من الرائع أن يشعر باللياقة مجددًا! كان يتطلع إلى العمل مع ديني وهوب. نعم، كان يرغب حقًا في العودة إلى العمل!

عندما عاد في الساعة الحادية عشرة، وجد رسالتين في انتظاره. جلس بجانب ديني، الذي كان يقرأ الجريدة، وفتحهما.

إحدى الرسائل كانت من ماري بولاند. أرسلت إليه تعازيها في وفاة كريستين؛ وأخبرته أنها أصبحت بصحة جيدة مرة أخرى؛ وشكرته على كل ما فعله من أجلها.

ابتسم أندرو ووضع رسالتها جانبًا، ثم قرأ الرسالة الأخرى. اختفت الابتسامة على الفور، وشحب وجهه. جلس لدقيقة كاملة صامتًا، ينظر إلى الرسالة.

قال بصوت هادئ: "ديني، اقرأ هذا!"

الفصل الثامن والثلاثون - أندرو في ورطة

قبل ثمانية أسابيع، لدى عودتها من مستشفى ستيلمان، ذهبت الممرضة شارب مباشرةً لرؤية صديقتها، الممرضة ترينت، التي كانت تعمل لدى الدكتور هامسون. كانتا قد اتفقتا على الذهاب إلى غرفة العمليات معًا في ذلك المساء. صرخت قائلةً: "أنا آسفة لتأخري الشديد، لكن الدكتور مانسون..."

في تلك اللحظة، نزل هامسون الدرج. قال بمرح: "مرحباً يا ممرضة شارب! تبدين متعبة! ولماذا أنتما هنا في هذا الوقت المتأخر؟ ظننت أنكما ستذهبان إلى المسرح الليلة."

قالت الممرضة شارب: "نعم يا دكتور، لكنّ الدكتور مانسون هو من أخّرني". فكّرت للحظة، ثمّ قرّرت أن تُخبره بالحقائق. "أخذ الدكتور مانسون فتاةً من مستشفى فيكتوريا وقادها إلى ذلك المكان في تشيلترنز، إلى ذلك المستشفى الجديد الذي يُديره أمريكيّ غير مؤهل كطبيب". وروت له القصة كاملة.

ساد الصمت عندما انتهت.

قال فريدي أخيراً: "أنا آسف لأنكِ مررتِ بوقت عصيب يا ممرضة. الآن، من الأفضل أن تسرعي، وإلا ستتأخرين عن المسرح."

توجه فريدي مباشرةً إلى ناديه لتناول العشاء مع ديدمان وإيفوري، اللذين عادا صديقين له بعد خلافه مع أندرو. وخلال العشاء، علّق فريدي قائلاً: "يبدو أن مانسون يُغامر منذ أن تركنا! سمعت أنه يُرسل المرضى إلى ذلك الرجل ستيلمان !"

صرخت إيفوري تقريباً: "ماذا!"

نعم! وأفهم أنه ساعد ستيلمان أيضاً في عملية جراحية! أخبرتني ممرضته بذلك.

نظر إيفوري إلى طبقه وتناول عشاءه. لم يكن قد سامح مانسون على تعليقاته بشأن عملية فيدلر. كان إيفوري يعلم أنه جراح سيئ، لكن لم يجرؤ أحد على إخباره بذلك! كره مانسون بسبب هذه الحقيقة المُرّة.

بعد لحظات، رفع رأسه وقال: "يجب أن نفعل شيئًا حيال هذا! يجب أن نخبر غادسبي. لقد تحدث غادسبي معي عن ستيلمان في إحدى الأمسيات. كان قد قرأ مقالًا في إحدى الصحف يشيد بعمل ستيلمان، وكان غاضبًا جدًا. غادسبي هو الشخص المناسب لإخباره."

شعر هامسون بالحرج. لم يكن يريد أن يورط مانسون في مشكلة. وبطريقة غريبة، كان معجبًا بأندرو. قال: "لا تذكر اسمي للدكتور غادسبي!"

"لا تكن أحمق يا فريدي! لا يمكننا السماح لمانسون بالتصرف بهذه الطريقة!"

بعد العشاء، ذهب إيفوري لرؤية الدكتور غادسبي، الذي استمع باهتمام إلى قصته.

قال: "حسنًا! حسنًا! أعرف هذا الرجل مانسون. لقد عمل لدى مجلس الفحم والمناجم. لم أكن أحبه. إنه رجل بغيض للغاية! وتقول إنه أخذ مريضة من مستشفى فيكتوريا وأرسلها إلى عيادة ستيلمان!"

نعم، وقد ساعد في العملية!

قال غادسبي: "إذن يجب علينا إبلاغ المجلس الطبي العام بالأمر. سأبلغ عنه شخصياً. أعتبر هذا واجبي. هذا الرجل، ستيلمان، يُشكّل خطراً على المهنة! إذا كان مانسون يعمل معه، فلا يجب السماح له بممارسة المهنة - يجب تجريده من رخصته."

أثناء وجود أندرو في ويلز، تم الإبلاغ عنه، دون علمه، إلى المجلس الطبي العام. وبعد أخذ إفادات من الدكتور ثوروغود والممرضة شارب وشخص أو شخصين آخرين، قرر المجلس إجراء تحقيق للنظر في الشكاوى المقدمة ضد أندرو.

الرسالة التي كان يحملها الآن في يده أبلغت أندرو بهذا القرار.

الفصل التاسع والثلاثون - التحقيق

قبل أسبوع من التحقيق، سافر أندرو إلى لندن لوضع الترتيبات اللازمة للدفاع عن نفسه. كان وحيدًا، فقد أخبر ديني وهوب أنه يفضل البقاء وحيدًا. شعر بحزن شديد. لم يصدق أنه، أندرو مانسون، في هذا الموقف - وهو موقف يخشاه كل طبيب. لماذا قد يرغب المجلس في منعه من ممارسة الطب؟ لم يرتكب أي ذنب! بل على العكس، لقد فعل شيئًا يستحق الثناء: لقد شفى ماري بولاند!

وافق محامٍ يُدعى هوبر، اقترحه ديني، على الدفاع عن أندرو في التحقيق. اعتبر أندرو هوبر رجلاً ضعيفاً وغبياً، وكاداً أن يتشاجرا في أول لقاء بينهما. أراد أندرو أن يطلب المساعدة من السير روبرت آبي، صديقه الوحيد ذو النفوذ في لندن، لكن هوبر اعترض على ذلك لأن آبي كان عضواً في المجلس الطبي العام. كما رفض المحامي السماح لأندرو باستدعاء ستيلمان كشاهد، خشية أن يثير وجود ستيلمان غضب أعضاء المجلس.

صرخ أندرو: "ما أهمية ذلك؟ لم أفعل شيئًا خاطئًا! لستُ خجلًا من أفعالي! أريد أن يعرف المجلس الحقيقة. أريد أن أثبت لهم أنني أنقذت حياة هذه الفتاة بإرسالها إلى ستيلمان - وأن تصرفي كان صائبًا وحكيمًا ."

صرخ هوبر قائلاً: "دكتور مانسون، أحذرك من التحدث بهذه الطريقة في التحقيق! إذا خاطبت المجلس بهذه الطريقة، فسوف يستبعدونك بالتأكيد! أنصحك بأن تقول أقل ما يمكن. فقط أجب عن أسئلتهم."

أدرك أندرو أنه يجب عليه محاولة السيطرة على مشاعره.

في مساء اليوم السابق للتحقيق، وبينما كان أندرو يتمشى، وصل إلى مدخل كنيسة مفتوح. دخل. كان الظلام حالكًا في الداخل. جلس في المقعد الخلفي، وتذكر كيف كانت كريستين تقرأ كتاب صلاة عندما تكون حزينة. نادرًا ما كان يذهب إلى الكنيسة، لكنه الآن هنا، كرجل يستريح في نهاية رحلة. صلى في صمت: "يا الله، لا تدعهم يستبعدونني! لا تدعهم يستبعدونني!". بقي هناك لنحو نصف ساعة. ثم نهض وذهب إلى فندقه.

في صباح اليوم التالي، استيقظ وهو يشعر بالغثيان والقلق. لم يتناول الفطور. كان من المقرر أن تُعقد جلسة الاستماع في قضيته الساعة الحادية عشرة، وقد طلب منه هوبر الحضور مبكراً.

وصل إلى مكاتب المجلس الطبي العام عندما كانت الساعة تدق الحادية عشرة.

أسرع إلى الغرفة التي سيُعقد فيها التحقيق. كان أعضاء المجلس يجلسون حول طاولة طويلة، وفي الطرف الآخر من الغرفة كان المحامون والشهود الذين سيشاركون في القضية. كانت ماري بولاند ووالدها، والممرضة شارب، والدكتور ثوروغود، والعديد من الوجوه الأخرى التي عرفها، حاضرين. وقف أندرو لدقيقة، ينظر إلى صف الكراسي الطويل، ثم جلس بجانب هوبر.

قال المحامي: "كنت أعتقد أنني طلبت منك الحضور مبكراً".

لم يُجب أندرو.

بدأ التحقيق على الفور. وقرأ السيد بون، المحامي الذي يعمل لدى الأطباء الذين اتخذوا الإجراءات القانونية ضد أندرو، لائحة الاتهام الموجهة إليه.

قال: "سيدي الرئيس، أيها السادة، هذه حالة طبيب يعمل مع شخص غير مؤهل. إليكم تفاصيل القضية: المريضة، ماري بولاند، أُدخلت إلى مستشفى فيكتوريا تشيست في 18 يوليو/تموز. وبقيت هناك، تحت

رعاية الدكتور ثوروغود، حتى 14 سبتمبر/أيلول. ثم أعربت عن رغبتها في المغادرة والعودة إلى منزلها. ولكن بدلاً من عودتها، أخذها الدكتور مانسون إلى مركز صحي يديره رجل يُدعى ستيلمان - وهو شخص غير مؤهل في الطب، بل وأجنبي ! فحص السيد ستيلمان المريضة فور وصولها وقرر إجراء عملية جراحية فورية في إحدى رئتيها - ووافق الدكتور مانسون على مساعدته. أجريا العملية معًا. أيها السادة، أكرر: لقد عملا معًا!"

نظر السيد بون إلى أعضاء المجلس للتأكد من أنهم فهموا قصده، ثم نادى على الدكتور ثوروغود.

سأل: "دكتور ثوروغود، هل صحيح أن الدكتور مانسون جاء إلى مستشفى فيكتوريا وطلب منك تغيير علاج هذه المريضة، ماري بولاند؟"

'نعم.'

وماذا قلت؟

رفضت.

"لمصلحة مريضك، رفضت."

'فعلتُ.'

هل كان أسلوب الدكتور مانسون غريباً عندما رفضت؟

"حسنًا..." توقف ثوروغود للحظة. "لم يبدُ أنه على ما يرام في ذلك الصباح. لقد جادل."

شكراً لك يا دكتور ثوروغود. هل كان لديك أي سبب للاعتقاد بأن المريضة نفسها لم تكن راضية؟

"أوه، لا! لقد بدت دائماً سعيدة."

شكراً لك يا دكتور ثوروغود . هذا كل شيء.

استجوب بون ممرضة من مستشفى فيكتوريا، ثم استدعى الممرضة شارب.

والآن، يا ممرضة شارب، هل يمكنكِ إخبارنا عن تصرفات الدكتور مانسون بعد ظهر يوم الأربعاء الموافق 14 سبتمبر؟

نعم، كنت هناك!

أتصور من صوتك يا ممرضة شارب أنكِ لم ترغبي في التواجد هناك.

"عندما أدركت إلى أين نحن ذاهبون، وأن هذا الرجل ستيلمان ليس طبيباً، كنت..."

"مُستاء؟" اقترح بون.

نعم، كنت كذلك!

"بالضبط!" بدا بون مسروراً. "والآن، يا ممرضة شارب، سؤال أخير: هل ساعد الدكتور مانسون السيد ستيلمان فعلاً في هذه العملية؟"

أجابت الممرضة شارب بصوت مليء بالكراهية: "لقد فعل ذلك".

انحنت آبي إلى الأمام وسألت سؤالاً: "هل صحيح يا ممرضة شارب أن الدكتور مانسون قد أبلغك للتو؟"

احمرّ وجه الممرضة شارب. "نعم. نعم - أعتقد ذلك."

وبينما كانت تجلس، شعر أندرو أن آبي، على الأقل، لا تزال صديقته.

بون، الذي انزعج قليلاً من هذه المقاطعة، التفت إلى أعضاء المجلس قائلاً: "سيدي الرئيس، أيها السادة، يمكنني استدعاء المزيد من الشهود، لكنني لا أرى ذلك ضرورياً. أعتقد أنني أثبت صحة التهمة الموجهة ضد الدكتور مانسون."

جلس السيد بون، وبدا عليه الرضا الشديد عن نفسه . ساد الصمت للحظات. أبقى أندرو عينيه على الأرض. وبمرارة، قال لنفسه إنهم يعاملونه كمجرم. ثم بدأ محاميه بمخاطبة المجلس.

بدا هوبر مرتبكًا. كان وجهه محمرًا، وبدأ يسعل. قال: "أقر بصحة هذا الاتهام. لكن صديقي السيد بون لم يكن منصفًا تمامًا مع الدكتور مانسون. لم يذكر أن الآنسة بولاند كانت مريضة الدكتور مانسون قبل أن تصبح تحت رعاية الدكتور ثوروغود. كان للدكتور مانسون اهتمام خاص بهذه الحالة. أقر بأن تصرف الدكتور مانسون بنقلها من مستشفى فيكتوريا كان خاطئًا تمامًا. لكنه لم يكن مخزيًا، وبالتأكيد لم تكن لديه رغبة في مخالفة القوانين الطبية . لم يوافق على علاج الدكتور ثوروغود، ولذلك قرر اتخاذ ترتيبات أخرى لرعاية مريضته."

ثم اتصل هوبر بماري بولاند.

سأل: "آنسة بولاند، هل وجدتِ أي سبب للشكوى أثناء وجودكِ في مستشفى السيد ستيلمان؟"

أوه، لا! بالتأكيد لا!

ألم تسوء صحتك؟

لا، لا - لقد تحسنت كثيراً!

قال هوبر بسرعة: "شكراً لك. هذا كل شيء. سأتصل الآن بالدكتور مانسون."

نهض أندرو، مدركاً أن كل الأنظار كانت موجهة نحوه. كان شاحباً ومتعباً.

خاطبه هوبر قائلاً: "دكتور مانسون، هل تلقيت أي أموال من السيد ستيلمان؟"

'لا أحد!'

هل قصدت إلحاق الضرر بالدكتور ثوروغود بأفعالك؟

لا، بالتأكيد لا! كنا أصدقاء مقربين. ببساطة لم أتفق مع آرائه حول هذه القضية.

بالضبط! هل يمكنك أن تخبر المجلس بصدق أنك لم تقصد الإساءة إلى القوانين الطبية؟

"هذه هي الحقيقة."

هوبر، الذي كان قلقاً بشأن استدعاء أندرو كشاهد خشية أن يقول الكثير، صرفه بشعور من الارتياح.

ثم قفز بون فجأة على قدميه وبدأ باستجواب أندرو. "دكتور مانسون، تقول إنك لم تقصد مخالفة القوانين الطبية. لكنك كنت تعلم أن السيد ستيلمان غير مؤهل، أليس كذلك؟"

نظر إليه أندرو ببرود. "نعم، كنت أعرف أنه ليس طبيباً."

فهمت! وهذا لم يمنعك من إرسال مريض إليه!

«لا، لم يحدث ذلك!» غضب أندرو. أخذ نفسًا عميقًا. «سيد بون، لقد استمعت إلى أسئلتك. الآن سأسألك سؤالًا واحدًا. هل سمعت بلويس باستور؟»

تفاجأ بون من السؤال. "نعم - بالطبع! الجميع يعرفه!"

"بالضبط! الجميع يعرفه! حسنًا، سيد بون، هل تدرك أن لويس باستور، أعظم اسم في الطب العلمي، لم يكن طبيبًا؟ وكذلك العديد من الأسماء الشهيرة الأخرى في الطب. ربما يُظهر لك هذا أن كل من لا يحمل شهادة طبية ليس بالضرورة مجرمًا أو أحمق!"

صمت! نهض جميع أعضاء المجلس. نظرت آبي إلى أندرو بنظرة ودودة. بدا هوبر محرجًا. كان بون منزعجًا.

قال بون: "نعم، نعم - لكن هؤلاء الرجال كانوا يتمتعون بصفات نادرة. بالتأكيد لا تقارن ستيلمان بهم؟"

لم لا؟ لقد كافح هؤلاء الرجال طويلاً قبل أن يصبحوا مشهورين. لقد قدم ستيلمان للطب أكثر مما قدمه آلاف الرجال الحاصلين على شهادات جامعية - أكثر بكثير من هؤلاء الأطباء الذين يتجولون في سيارات فارهة ويتقاضون أسعارًا باهظة مقابل خدماتهم! ستيلمان رجل عظيم. لقد قدم لعلاج مرض السل أكثر مما قدمه أي طبيب في هذا البلد!

أثارت كلماته دهشة جميع الحاضرين في قاعة المحكمة. نظرت إليه ماري بولاند بإعجاب. بدأ هوبر ببطء وحزن في جمع أوراقه، وهو على يقين من أن أندرو قد خسر قضيته.

تحدث الرئيس قائلاً: "هل أنت جاد فيما تقوله يا دكتور مانسون؟"

قال أندرو بحزم: "أجل،" كان مصمماً على التعبير عن آرائه. إذا كانوا سيستبعدونه، فسيعطيهم السبب لذلك!

وتابع: "هناك العديد من المشاكل في مهنتنا، وقد حان الوقت لتصحيحها. الأطباء لا يتلقون التدريب الكافي، فهم لا يتعلمون سوى أساسيات الطب في كليات الطب. عندما تخرجت، كنت أشكل خطرًا على المجتمع، إذ لم أكن أعرف سوى أسماء بعض الأمراض والأدوية التي يُفترض أنها تشفيها. لقد تعلمت كل ما أعرفه الآن عن الطب تقريبًا منذ تخرجي. ولكن كم عدد الأطباء الذين يدرسون أثناء ممارستهم المهنة؟ قليل جدًا! إنهم مشغولون للغاية عن الدراسة. نظامنا الطبي برمته فاسد! يجب على الأطباء العمل معًا وتبادل معارفهم، وإجراء دراسة جادة لأسباب وعلاجات أمراض مرضاهم، بدلًا من مجرد وصف الأدوية. ماذا يحدث الآن؟ كثير من الأطباء يجنون ثروات طائلة من مرضاهم بإعطائهم أدوية وعلاجات باهظة الثمن لا فائدة منها! هذا ليس صحيحًا! هذا ليس نزيهًا! لقد ارتكبتُ العديد من الأخطاء بنفسي، وأنا آسف عليها. لكنني لم أخطئ في اختيار ستيلمان، وكان من الصواب أن ألجأ إليه. أطلب منكم أن تنظروا إلى ماري بولاند." عندما ذهبت إلى ستيلمان، كانت مريضة بشكل خطير. والآن شفيت. احكموا على أفعالي بناءً على ذلك!

جلس أندرو.

ساد الصمت لدقيقة. ثم أمر الرئيس الجميع بمغادرة الغرفة.

خرج أندرو مع الآخرين. شعر الآن بالغضب من نفسه. تمنى لو أنه سيطر على مشاعره، ولم يتحدث بتلك الطريقة. كان يتوق بشدة للعمل مع ديني وهوب. لكنهما الآن سيستبعدانه!

أعاده صوت حركة الناس إلى رشده. انضم إلى الآخرين وعاد إلى قاعة المجلس. جلس ساكناً تماماً، وقلبه يخفق بسرعة.

تحدث الرئيس قائلاً: "أندرو مانسون، لقد نظر المجلس بعناية في التهمة الموجهة إليك، وقرر السماح لك بمواصلة ممارسة الطب."

للحظة، كاد أندرو لا يفهم كلماته. ثم تسارع نبض قلبه فرحًا وارتياحًا. لم يُستبعد! لقد تحرر! رفع رأسه ونظر إلى أعضاء المجلس. من بين جميع الوجوه التي التفتت نحوه، كان وجه روبرت آبي هو الأكثر وضوحًا في عينيه. أدرك على الفور أن آبي هو من أنقذه. خاطب الرئيس، لكنه في الحقيقة خاطب آبي قائلًا: "شكرًا لك يا سيدي".

ثم اقترب منه أصدقاؤه - كون، وماري، والسيد هوبر الذي بدا عليه الذهول، وأشخاص لم يرهم من قبل - وصافحوه. قالت ماري، وعيناها تفيضان بالدموع: "لو استبعدوك، بعد كل ما فعلته من أجلي، لكنتُ - لكنتُ قتلتُ ذلك الرئيس العجوز!"

ابتسم أندرو.

ذهب الثلاثة - أندرو وكون وماري - إلى فندق أندرو. وهناك، كان ديني ينتظرهم. سار نحوهم مبتسمًا. كان هوبر قد أخبره بالخبر عبر الهاتف، لكنه لم يذكر ذلك. قال ببساطة: "أنا جائع. لنتناول الغداء."

لم ينطق ديني بكلمة واحدة عن التحقيق خلال الغداء. بعد الغداء، قال لأندرو: "بإمكاننا شراء ذلك المنزل الذي نريده لعيادتنا. إنه رخيص جدًا! ذهبت هوب لرؤيته. قطارنا يغادر الساعة الرابعة. يجب أن أتسوق الآن. سأقابلك في المحطة."

نظر أندرو إلى ديني، متذكراً صداقتهما وكل ما يدين به له منذ لقائهما الأول في عيادة درينفي الصغيرة. ثم قال فجأة: "ماذا كان سيحدث لو تم استبعادي؟"

هزّ فيليب رأسه قائلاً: "لم يستبعدوك. وسأحرص على ألا يفعلوا ذلك أبداً."

بعد أن غادر ديني وكون وماري، ذهب أندرو إلى فناء الكنيسة حيث دُفنت كريستين، ووقف طويلًا عند قبرها. كان عصرًا مشرقًا ومنعشًا، من ذلك النوع من الطقس الذي لطالما أحبته. وعندما استدار أخيرًا، مسرعًا خشية أن يتأخر، رأى في السماء أمامه سحابةً متلألئةً، تتخذ شكل أسوارٍ محصنة.